كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصـــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

المسجل بوزارة الشئون رقم ٨٣٣

العددان التاسع والعاشر	رمضان شوال ١٣٧٢ مايو ويونيو ١٩٥٣	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الخامسة

النسيان والخطأ وأثرهما فى الأحكام

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف

كل إنسان عرضة للنسيان والخطأ فى عباداته وفى معاملاته وفى جناياته وفى كل تصرف من تصرفاته إيجابى أو سلبى ، ويهم كل مسلم أن يعرف حكم الشريعة فيما يفعله أو يتركه ناسيا أو خاطئاً ، من حيث المؤاخذة الأخروية ، ومن حيث الآثار الدنيوية ، وأن يوازن بين حكم الشريعة فى هذا وحكم القوانين الوضعية وهذا بيان للسلم فى هذا الموضوع .

من رحمة الله وحكمته وعدالته أنه اعتبر العوارض التى تعرض للانسان من نوم وإغماء ونسيان وخطأ ونحوها ، وشرع لها أحكاماً جامعة بين التخفيف والتيسير على من عرضت له ، وبين المحافظة على أنفس الناس وأموالهم وسائر حقوقهم وأساس هذه الأحكام أنه سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وأنه ما جعل فى الدين من حرج ، وقوله عز شأنه فيما أرشد عباده أن يدعوه به

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » وقول الرسول ﷺ (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) .

النسيان :

النسيان هو غفلة الإنسان عن بعض معلوماته ، أو هو زوال صور بعض المعلومات من الذاكرة . فالإنسان قد يحلف بالله على أن لا يشرب الدخان ثم ينسى أنه حلف ويشربه ، وقد ينوى الصيام ثم ينسى أنه صائم ويأكل أو يشرب والمتبادر من عبارات اللغويين أن لا فرق بين النسيان والسهو ، وأن كلا منهما معناه الغفلة عن بعض المعلومات ، أى ضد ذكرها وحفظها . ومن العلماء من فرقوا بين النسيان والسهو بأن غفلة الناسى أشد من غفلة الساهى وأن الساهى وهو من يذكر بأدنى لفتة ، وأما الناسى فيحتاج إلى مذكر قوى ، وعلى هذا التفريق قالوا : إن الرسل والأنبياء يجوز عليهم السهو ولا يجوز عليهم النسيان .

والحق أن النسيان والسهو لفظان مترادفان معناهما واحد وأن الرسل والأنبياء يجوز عليهم النسيان والسهو فى غير التبليغ عن الله من شئونهم الإنسانية ومامعلاتهم العادية، لأن الرسل والأنبياء هم من الناحية البشرية أناس يعرض لهم ما يعرض لسائر البشر من نوم ومرض ونسيان وسهو . ولكن الله سبحانه كما عصمهم من أن يكتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه ، عصمهم من أن ينسوا أو يسهو عن شىء منه ، ولهذا قال الله لرسوله « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ، إنه يعلم الجهر وما يخفى » .

وقد وصف الله بعض رسله بالنسيان فقال سبحانه فى آدم « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » وقال على لسان موسى « لا تؤاخذنى بما نسيت » وفى حديث سهو رسول الله ﷺ فى صلاته حين سلم على رأس الركعتين قال له بعض أصحابه : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟

حكم النسيان :

النسيان عارض لا يخرج الناسى عن أهليته لأن تجب له حقوق ولأن تجب عليه حقوق ، ولا يخرجه عن أهليته لأن تعتبر أقواله وأفعاله شرعاً ، وتترتب الآثار الشرعية على ما يصدر منه من قول أو فعل لأن الناسى حين نسيانه ما خرج عن كونه إنساناً عاقلا مميزاً أهلا للوجوب له وعليه واهلا لاعتبار ما يصدر منه ، فلا يسقط عنه التكليف بأى واجب من صلاة أو صوم أو زكاة أو حج ، ولكن رحمة الله بعباده وإرادته اليسر بهم ورفع الحرج عنهم قضت بأنه لا يجب عليه أداء ما كلف به إلا حين تذكره . وقضت باعتبار النسيان فى بعض الحالات عذراً يقتضى التخفيف لبعض الأحكام الأخروية والدنيوية .

فأما بالنسبة إلى الأعمال الأخروية فإن المسلم إذا صدر عنه ما يستوجب العقاب والمؤاخذة نسياناً لا يؤخذه الله ولا يعاقبه لأن الله سبحانه إنما يؤاخذ على قصد الإثم ونية الخروج عن حدوده ، وهو سبحانه يعلم من أثم عن إرادة وقصد ، ومن أثم عن نسيان وغفلة ، فن رحمته غفر للناس وهذا استجابة للدعاء الذى أرشد الله إليه عباده بقوله فى ختام سورة البقرة : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » . ومصداق قول الرسول ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتى عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وأما بالنسبة إلى الأحكام الدنيوية فيفرق بين النسيان فيما هو من حقوق الله كالعبادات وما هو من حقوق الناس كالمعاملات .

فأما ما هو من حقوق الله كالصلاة والصيام وسائر العبادات فإذا كان النسيان فيه مع وجود مذكر ينبهه من الغفلة يعتبر الناسى مقصراً ولا يعذر بنسيانه ، وأما إذا كان النسيان حيث لا يوجد مذكر فإنه لا يعتبر الناسى مقصراً ويعذر بنسيانه ، ولهذا إذا أكل المصلى فى أثناء الصلاة ناسياً أو تكلم

بكلام خارج ناسياً لا يعذر بنسيانه وتفسد صلاته ، لأن حال الصلاة من قيام وقعود وركوع وسجود واستقبال قبلة ، مذكر ، فالنسيان مع هذا المذكر غفلة عن تقصير فلا يعذر به ، وأما إذا أكل الصائم أو شرب فى نهارة ناسياً فإنه لا يفسد صومه ؛ لأن الطعام والشراب تدعوا الإنسان إليهما طبيعته والصوم عبادة سلبية ليس لها حال ظاهرة تذكر به ، فإذا نسيه الإنسان إجابة لداعى طبعه وحاجته لا يعتبر مقصراً ويعذر ، ولهذا ورد أن رسول الله ﷺ قال لمن أكل وشرب ناسياً فى رمضان « أتم على صومك فإنما أطعمك الله وسقاك » ومن أفطر بالأكل أو الشرب فى نهار رمضان ناسيا صح صومه ولا قضاء عليه . وكذلك من ذبح ذبيحة ونسى أن يذكر عليها اسم الله حين ذبحها تحل ذبيحته ويعذر بنسيانه ، لأن حال الذبح حال مهينة قد يذهل فيها الإنسان ويغفل فيعذر . وإذا سها فى صلاته بترك واجب او سنة مؤكدة او تقديم ركن او تأخيره لعذر . ولهذا لا تفسد صلاته وعليه أن يجبرها بسجود السهو . والأساس لهذه الأحكام ان النسيان فيما هو من حقوق الله يعتبر عذراً حيث لا يوجد مذكر ولا قرينة تقصـــير ولا يعتبر عذراً حيث يوجد مذكر او قرينة تقصير .

واما ما هو من حقوق الناس كالمعاملات والجنايات وسائر التصرفات فإن النسيان لا يعتبر فيها عذراً ، لأن معاملات الناس تبنى احكامها على عباراتهم وظواهر احوالهم . لا على نياتهم وإرادتهم لأن البواطن والنوايا لا يعلمها إلا الله ، ولو اعتبر النسيان عذراً فى معاملات الناس لفتح باب الادعاء بالباطل وعرضت حقوق الناس للإضاعة . فمن عقد اى عقد او تصرف اى تصرف او التزم بأى التزام ، ترتب على عقده وتصرفه والتزامه أثره ولا يقبل اعتذاره بأنه باع ناسياً او وقف ناسياً او قبل ناسيا ، ومن اتلف مال غيره فعليه ضمانه ولا يقبل اعتذاره بأنه اتلفه ناسياً . وكذا إذا اعتدى على شخص بأى عدوان

استحق عقوبته ، وعلى هذا لو طلق زوجته وقال إنى نطقت بلفظ الطلاق ناسيا غافلا عن معناه لا يعذر ويقع طلاقه فى مذهب الحنفية . والأساس لهذه الأحكام أن الناس فى معاملاتهم يؤاخذون بعباراتهم وظاهر أعمالهم ، وأن قبول الاعتذار فى حقوق الناس بالنسيان يعرض الحقوق للضياع ولهذا لا يقبل الاعتذار بالنسيان فى القوانين الوضعية لأن القوانين الوضعية تحكم فى معاملات الناس وحقوقهم ، ولا تحكم فى عبادات ، ولا تتعرض للناحية الأخروية ، ولهذا لا أثر لعارض النسيان فى حكم من أحكامها .

الخطـــأ :

الخطأ : هو وقوع الفعل من الإنسان على خلاف إرادته ، أى بدون تعمد ولا قصد منه ، وبعض العلماء فرق بين المخطىء والخاطىء بأن المخطىء هو من أراد أن يفعل الصواب ففعل غير الصواب بدون قصد ، وأما الخاطىء فهو من أراد فعل غير الصواب قاصداً متعمداً . وبعضهم قال إن المخطىء والخاطىء لفظان مترادفان ومعناهما واحد .

وقد يكون الخطأ فى نفس الفعل ، أى أن الفعل يقع من الإنسان على خلاف إرادته كمن أخذ فى تنظيم طبنجته فانطلقت رصاصة منها فقتلت إنسانا، فانطلاق الرصاصة وقع على خلاف الإرادة . وقد يكون الخطأ فى المقصود بالفعل لا فى نفس الفعل ، أى أن الفعل نفسه أريد ولكنه ما أريد به من إصابة، كمن رأى شبحا من بعيد فظنه صيداً فرماه فقتله ، فإذا هو إنسان .

حكم الخطأ :

كالنسيان فى أنه عارض لا يخرج الإنسان عن كونه أهلا للوجوب له وعليه وأهلا لأن تعتبر أقواله وأفعاله وتترتب عليها آثارها شرعا . ولا يسقط عنه

أى واجب مما يكلف به المكلف شرعا . وهو أيضا كالنسيان فى اعتباره عذراً بالنسبة للمؤاخذة الأخروية ، لأن الله سبحانه لا يؤاخذ إلا على القصد وإرادة الإثم . وأما ما وقع على غير الإرادة فهو عفو عند الله ، قال الله تعالى « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » .

وأما بالنسبة للأحكام الدنيوية فى حقوق العباد من معاملاتهم فليس عذراً فإذا عقد الإنسان عقداً أو باشر تصرفا أو جنى جناية واعتذر بأنه وقع ذلك منه خطأ على غير إرادته لا يقبل عذره ، وتترتب الآثار الشرعية على أقواله وأفعاله ، لأن الخطأ كالنسيان من الأمور الباطنة المتعلقة بالقصد والإرادة ولو فتحنا باب الاعتذار بها فى حقوق الناس فتحنا باب الادعاء ، واختلت معاملات الناس وضاعت حقوقهم ، فإذا قال الزوج لزوجته : أنت طالقة، وقال هذا اللفظ جرى على لسانى خطأ وإنما أردت أن أقول لها أنت طامعة ، لا يلتفت قضاء إلى قوله ويقع عليه الطلاق . وكذا إذا قال رجل لآخر : قبلت ، انعقد البيع ولا عبرة بقول الموجب إن لفظ بعت جرى على لسانى خطأ ، أو قول القابل كذلك .

وإذا أتلف مالا وجب عليه ضمانه ، ولا يقبل اعتذاره بأنه أتلفه خطأ وإذا قتل إنساناً خطأ يعاقب ولكن لا بالقصاص بل بالكفارة والدية لقوله تعالى : « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله » وإذا زنى بامرأة خطأ كمن زفت إليه امرأة على أنها زوجته فدخل بها فإذا هى ليست زوجته ، يغرم ولا يحد حد الزنا فيلزم بمهر مثلها ، وأساس هذه الأحكام القاعدتان الإسلامتان المقررتان، وهما: — (١) الدماء والأموال معصومة فى دار الإسلام لابد أن يوجب إما الحد وإما المهر .فإذا كان الوقاع زنا ولا شبهة وجب فيه الحد وإذا كان الوقاع بالفراش الصحيح أو بشبهة عقد أو محل ففيه المهر .

والخطأ فى القوانين الوضعية لا يعد عذراً كالنسيان ، لأن القوانين الوضعية متعلقة بحقوق الناس ، والخطأ لا يتحقق فيه .

هذا هو تفصيل أحكام النسيان والخطأ بالنسبة إلى المؤاخذة الأخروية ، وبالنسبة إلى الأحكام الدنيوية المتعلقة بحقوق الله أو بحقوق الناس، ومنه يفهم أن قوله تعالى « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » إرشـــاد إلى العفو الأخروى عما ارتكبه المسلم فى دنياه نسيانا أو خطأ ، وهو متفق عليه وحديث « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

ولكن الأستاذ الإمام عليه رحمة الله ذهب فى تفسير قوله تعالى « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » إلى غير هذا وقال : إن الناسى او المخطىء لا يخلو كل واحد منهما من نوع تقصير يستحق المؤاخذة ، ولهذا يقول الإنسان للناسى . ولم نسيت ؟ ويقول للمخطىء : ولم أخطأت ؟ وإن المؤاخذه على النسيان والخطأ مما جاءت به الشريعة وأقرته القوانين الوضعية وجرى عليه عرف الناس فى معاملاتهم ومجازاتهم ، وكما جاز ذلك وحسن فى الدنيا يجوز أن يؤاخذ الله الناس فى الآخرة بما يأتونه من المنكرات ناسين أو مخطئين ولكنه تعالى علمنا ان ندعوه بأن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ليذكرنا بما ينبغى من العناية والاحتياط والتذكر لعلنا نسلم من النسيان والخطأ او يقل منا وقوعهما .

فهذا الدعاء لا يدل على ان حكم الله فى النسيان والخطأ انه لا يؤاخذ عليهما بل قصارى ما يؤخذ منه ان النسيان والخطأ مما يرجى العفو عنهما إذا وقع العبد فيهما بعد بذل جهده والاحتياط .

ثم قال ولعل إيراد الشرط بإن دون إذا للإيذان بأن هذا خلاف ما ينبغى ان يكون عليه المؤمن .

وهذا التفسير غير ما يتبادر من الآية ولا يتفق وما تقرر فى الشريعة من اعتبار النسيان ، والخطأ عذراً فى بعض الأحكام ولا يتفق وما ورد فى السنة من رفع الإثم عن الخطأ والنسيان .

عبد الوهاب خلاف

تفسير القرآن الكريم

(سورة الواقعة)

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فرغل البليني الاستاذ بكليه الشريعة

(بيان وجه مناسبتها لسورة الرحمن)

ذكر فى سورة الرحمن ، تعداد النعم على الثقلين ومطالبتهم بشكرها وتأنيبهم على جحودها ، ثم ذكر فيها جزاء الشاكرين الخائفين ، وجزاء الخائنين المجرمين .

وذكر فى هذه السورة السابقون وجزاؤهم ، وأصحاب الميمنة وجزاؤهم وأصحاب المشأمة وجزاؤهم . فكانت هذه شبيهة بتلك فذكرت معها . ولما انفردت سورة الرحمن بذكر النعم وتعدادها كانت كالمقدمة لهذه فجاءت هذه بعدها .

(بيان مكان نزولها وعدد آياتها)

هى سورة مكية بلا استثناء ، وآياتها ست وتسعون على المشهور فى الأمرين :

(بيان ما جاء فى فضلها)

قال مسروق : من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ، ونبأ أهل الآخرة ، فليقرأ سورة الواقعة .

وذكر الثعلبى أن سيدنا عثمان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات فيه فقال ما تشتكى ؟ قال : ذنوبى . قال : فما تشتهى ؟ قال : رحمة ربى. قال : أفلا ندعو لك طبيبا ؟ قال الطبيب أمرضنى قال : أفلا نأمر لك بعطائك ؟ لا حاجة لى فيه ، حبسته لى فى حياتى وتدفعه لى عند مماتى ! قال : يكون لبناتك بعدك . قال : أتخشى على بناتى الفاقة من بعدى ؟ إنى أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة ، فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً ،

وأخرج ابن مردوية عن أنس عن رسول الله ﷺ قال : « سورة الواقعة سورة الغنى فاقرأوها وعلموها أولادكم » .

وأخرج الديلمي عنه مرفوعا : « وعلموا نسائكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى » .

بيان ما تشتمل عليه سورة الواقعة إجمالا :

ذكر فى هذه السورة خبر القيامة وأنها إذا حدثت لا يجرؤ أحد على التكذيب بها ، لأنه شاهدها عياناً ويبتدىء هذا من أولها وينتهى بقوله تعالى « فكانت هباءاً منبثا » .

ثم ذكر فيها تقسيم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أقسام ، وجزاء كل قسم منهم . فذكر فيها أصحاب الميمنة وجزاؤهم ، وأصحاب المشأمة وجزاؤهم . والسابقون ودرجاتهم .

وهذا القسم يبتدىء من قوله تعالى « وكنتم أزواجا ثلاثة » وينتهى بقوله « أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون » .

ولما كان من سيئات أصحاب المشأمة إنكار البعث والحشر أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر هؤلاء المنكرين رداً لإنكارهم بأنه سيجمع الأولين والآخرين إلى ميقات يوم معلوم . ثم أقام الأدلة على قدرته تعالى على البعث ابتداء من قوله تعالى « نحن خلقناكم فلولا تصدقون » إلى قوله تعالى « نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين » ، فذكر - جل وعلا - أنه قادر على إعادتهم كما بدأهم ، حيث قال « نحن خلقناكم فلولا تصدقون » يعنى فهلا تذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر .

وذكر إنباته النبات فى قوله : « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » وإنزال الماء من المزن فى قوله « أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » وإنشاء الشجرة التى يقدحون النار منها فى قوله « أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » .

كل ذلك ليشعر المخاطبين بقدرته التى لا يعجزها شيء ، وان البعث من ضمن مقدوراته وانه هين عليه .

ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالتسبيح فقال « فسبح باسم ربك العظيم » تنزيهاً لساحة الإله عما يصفه بهــا الجاحدون لوحدانيته ، الكافرون بنعمته ، وإيذاناً بأنه منزه عن العجز ، مبرأ عن النقص ، وان من كان هذا شأنه كان البعث وغيره عنده ميسورا .

ثم اتبع كل ما ذكر بالقسم على حقيقة القرآن وصحته ، وصدق كل ماجاء به من الأخبار والأنباء .

وهذا القسم يبتدىء من قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم » وينتهى بقوله تعالى « تنزيل من رب العالمين » .

ثم ذكر أنه المنفرد بإخراج روح العبــد ، دون أن يقدر أحد على إرجاعهــا إلى الجسد بعد انتزاعهــا ، وأنه بعد إخراجها يجازى صاحبهــا بالخير خيراً ، وبالشر شراً ، فيجعل المقربين فى روح وريحان ؛ ويجعل أصحاب اليمين فى أمن وسلام ويجعل المكذبين فى عذاب النيران .

كل ذلك ليستشعر النفوس الخوف من الله عز وجل ؛ فتزداد الصــالحة صلاحا ، وتقلع الفاجرة عن الضلال والغى .

ثم ختم السورة بأنه ما جاء فيهــا هو حق اليقين ، وأن منزلها يستحق التنزيه والتقديس .

فأنت ترى أن السورة لم تخرج عن الإخبار عن البعث وذكر الجزاء بعد البعث ، وإقامة الأدلة من المشــاهدات على القدرة على البعث ، لأنها سورة مكية نزلت بين قوم لا يعترفون بالقيامة ، ولا يقولون بالآخرة ، ولا يصفون الإله بالقدرة الكاملة ، ولا ينزهونه عن الشريك فسبحان من هذا كلامه .

بسم الله الرحمن الرحيم . قال الله تعالى : « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ، إذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا » .

(الشرح والبيان)

(وقعت) حدثت . (الواقعة)

صفة لمحذوف ، تقديره : إذا وقعت القيامة الواقعة .

وكلمة (الواقعة) تفيد الوقوع بالفعل ، فيكون محصل الكلام : إذا وقعت القيامة التى وقعت . وهذا ـ بحسب الظاهر ـ تحصيل حاصل .

وأجابوا عنه بأن التعبير (بالواقعة) المفيدة لحصول الوقوع بالفعل عما سيقع فى المستقبل للأيذان بأن وقوعها سيتحقق لامحالة حتى لكأنها واقعة بالفعل .اهـ خطيب

وكلمة (إذا) ظرف يحتاج إلى جواب . وجوابه قوله : «ليس لوقعتها كاذبة» .

و (كاذبة) صفة لموصوف محذوف ، أى نفس كاذبة ، بمعنى مكذبة . و(اللام) فى «لوقعتها» بمعنى فى ، وبعدها مضاف محذوف ، أى ليس فى وقت وقعتها .

وتقدير الكلام : إذا وقعت القيامة الواقعة ليس فى وقت وقعتها نفس مكذبة ، أى لا ينكر وقوعها أحد بعد حصوله . ثم شرع سبحانه وتعالى يبين ما يكون يوم القيامة من خفض الأشقياء ورفع السعداء فقال : «خافضة رافعة» .

وتقدير هذه الجملة : هى ـ أى القيامة ـ خافضة رافعة ، أى خافضة لأقوام رافعة لآخرين . وعلى هذا قول سيدنا عمر رضى الله عنه : خفضت أعداء الله إلى النار ، ورفعت أولياءه إلى الجنة .

وإسناد الخفض والرفع إليها باعتبار ظهوره يومها ، فهو إسناد إلى السبب العادى مجازاً ، وإلا فالخافض والرافع هو الله تعالى .

«إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا . . إلخ . »

(إذا) ظرف لوقعت . (رجت الأرض) حركت تحريكا شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من جبل وبناء . (بست الجبال) فتتت تفتيتاً قوياً حتى صارت كالدقيق الملتوت بالماء . و(الهباء المنبث) الغبار المتفرق .

(بيان المعنى الإجمالى)

(المعنى) إذا حدثت القيامة التى

لا بد من وقوعها ، وقت تحريك الأرض تحريكا شديداً ، وتفتيت الجبال تفتيتاً قويا حتى تصير غباراً متفرقا ، لا يوجد وقت حصولها نفس تكذب بها ، بل يعترف بها كل أحد ، ولا يتمكن أحد من إنكارها ، ويبطل عناد المعاندين ، وجحود الجاحدين ، لأن الخبر صار عياناً ، والمسموع مشاهداً ؛ وهى تخفض الكافرين إلى أسفل الدركات ، وترفع المؤمنين إلى أعلى الدرجات .

فمن عكف على إنكاره وضلاله ذاق النكال فى ذلك اليوم المهول ، ومن قوى فى إيمانه ويقينه كان يومئذ رفيع الدرجة مع الأبرار الأخيار . والله أعلم .

ثم قال الله تعالى :

« وكنتم أزواجاً ثلاثة ، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون ، أولئك المقربون فى فى جنات النعيم » .

(الشرح والبيان)

« كنتم » صرتم . « أزواجاً ثلاثة » أصنافاً ثلاثة . والخطاب للخلائق بأسرهم ، قسمهم فى القيامة ثلاثة أصناف : اثنان فى الجنة ، وهم أصحاب الميمنة والسابقون . وواحد فى النار ، وهم أصحاب المشأمة .

وقد بين هذه الأصناف مع شرح أحوالهم إجمالا بقوله ـ جل وعلا ـ : « فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . . إلخ » .

ثم بين أحوالهم تفصيلا بقوله : « أولئك المقربون » إلخ . وقوله : « وأصحاب اليمين » إلخ . وقوله : « وأصحاب الشمال » إلخ . وسنبين ذلك فنقول :

قوله : « فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة » مبتدأ وخبر ، والاستفهام بكلمة (ما) لتعظيم حالهم ، وتعجب السامع منها . أى ما حالهم ، وأى شىء صفتهم يوم القيامة . . إنها حال فى غاية الفخامة ، وصفة فى نهاية العظمة ، تستدعى العجب ، وتستوجب الغرابة .

كيف لا ، وهم فى النعيم يسرحون وفى الفراديس يمرحون ، وبالدرجات العلى يفرحون »

وإن من كان شأنهم هذا كانت حالهم عجيبة ، وصفتهم غريبة .. فالمقصود من قوله تعالى « ماأصحاب الميمنة » تفخيم شأنهم ، والتعجيب من حالهم ، كأنه يقول : فأصحاب الميمنة فى حالة هى غاية فى الحسن تبعث على العجب والغرابة .

وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة »

أى ما حالهم وما شأنهم ، إنها حال فى نهاية الفظاعة ، وشأن فى غاية الوخامة ، تستدعى العجب وتوحى بالاستغراب .

كيف لا وهم فى الجحيم مقيمون ، وفى أسفل الدركات نازلون ، وبالنيران يكتوون .

وإن من كان شأنهم هذا ، كانت حالتهم فى غاية الفظاعة ، ونهاية الذلة تستدعى العجب والغرابة .

وقد اختلف المفسرون فى بيان الفريقين :

فقيل : أصحاب الميمنة هم أصحاب المنزلة السنية ، وأصحاب المشأمة هم أصحاب المنزلة الدنية .

وقيل : هم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم ، والذين يؤتونها بشمائلهم .

وقيل : هم الذين يؤخذبهم ذات اليمين إلى الجنة ، والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار .

وقيل : هم أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم ، لأن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم ، والأشقياء مشائيم عليها بعصيانهم .

«والسابقون السابقون»

هذا هو الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة . ولعل تأخيرهم فى الذكر مع كونهم أسبق الأصناف وأقدمهم فى الفضل مايقترن ذكرهم بما ذكر بعد من محاسن أحوالهم

وقد اختلف المفسرون فى تعيينهم

فقيل : هم الذين سبقوا إلى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير توان وتلعثم .

وقيل : هم الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والـكمالات .

وقيل : هم المسارعون فى الخيرات

وقيل : هم السابقون إلى التوبة وأعمال البر .

وفى البحر : ورد فى الحديث أن النبي ﷺ سئل عن السابقين فقال : « هم الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوه بذلوه ، وحكموا على الناس كحكمهم لأنفسهم » .

وقيل : النـاس ثلاثة : فرجل ابتـكر الخير فى حداثة سنه ثم دام عليه حتى خرج من الدنيا ، فهذا هو السابق ، ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبته فهذا هو صاحب اليمين ، ورجل ابتكر الشر فى حداثته سنة ثم لم يزل عليـه حتى خرج من الدنيا فهذا هو صاحب الشمال .

وعن ابن كيسان : إن السابقين هم المسارعون إلى كل ما دعا الله تعالى إليه.

ورجح هذا القول الأخير بعض العلماء لعمومه ، وجعل كل ما عداه من الأقوال من باب التمثيل .

وأيا ما كان فالجملة مبتدأ وخبر ، والتكرار الذى فيها لتفخيم شأنهم ، والإيذان بشيوع فضلهم ، كما يقول القائل : شعرى شعرى ، أى شعرى الشعر العظيم الذى شاع وذاع . فمعنى الجملة ـ بناء على هذا ـ والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم فى المسارعة إلى كل ما دعا الله إليـه ، وعرفت محـاسنهم فى السبق إلى كل ما حث الدين عليه .

وقوله: «أولئك المقربون» :

الإشارة فيه إلى (السابقين) وهو استئناف واقع جواباً عن سؤال مقدر كأن سـائلا قال : ما حال هؤلاء السابقين عند الله تعالى ؟ فقيل : إنهم مقربون عنده حال كونهم كائنين « فى جنات النعيم » يتمتعون بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وإنما أشار إليهم بكلمة (أولئك) التى يشار بها للبعيد مع قرب العهد

بهم ، لبعد منزلتهم فى الفضـــل والشرف .

و(المقربون) مأخوذ من القربة بمعنى الحظوة . كأنه قيل : أولئك القوم الموصوفون بالسبق إلى كل ما دعا الله إليه هم الذين أنيلوا حظوة عند الله ومكانة لديه .

وفى قوله : « فى جنات النعيم » إشارة إلى أن قربهم من الله محض لذة وراحة ، لا كقرب خواص الملك القائمين بأشغاله عنده ، فإنه قرب غـــير متمحض للذة والراحة . ولذا قيل : « فى جنات النعيم » ورحبات الخلود . اهـ آلوسى .

ثم قال تعالى :

« ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين، على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصـدعون عنهـا ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما » .

الشرح والبيان

« ثلة من الأولين وقليل من الآخرين » .

و(الثلة) الجماعة الكثيرة . (من الأولين) من الناس المتقدمين من لدن آدم إلى نبينا عليه الصلاة والسلام (وقليل من الآخرين) هم الناس من لدن نبينا عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة .

وقوله تعالى : « ثلة من الأولين » إلخ . خبر ضمير محذوف يعود على السابقين المتقدمين .

والتقدير : هم . أى السابقون المتقدمون ، المسارعون إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير توان، جماعة كثيرة من الناس المتقدمين من لدن آدم إلى نبينا عليه الصلاة والسلام ، وقليل من الناس الآخرين ، من لدن نبينا عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة .

فتحصل أن السابقين المذكورين

فى قوله تعالى : « والسابقون السابقون » منهم جماعة كثيرة من المؤمنين بالأنبياء السابقين ، وجماعة قليلة من المؤمنين برسول الله ﷺ .

ولا يخالف هذا قول النبى ﷺ (إن أمتى يكثرون سائر الأمم يوم القيامة) أى يغلبونهم فى الكثرة . لأن أكثرية السابقين من المتقدمين لا تمنع أكثرية التابعين من الأمة المحمدية . فمجموع هذه الأمة أكثر فى الجنة من مجموع الأمم المتقدمة .

« على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين » . . إلخ

بين الله فى هذه الآية وفيما بعدها صنوف النعيم الذى أعده الله فى الجنة لهؤلاء السابقين ، جزاء مسارعتهم إلى الإيمان والطاعة ، ومبادرتهم إلى اعتناق الحق من غير توان .

وقوله ، « على سرر موضونة » خبر آخر للضمير المحذوف ، والتقدير : هم على سرر .

و(السرر) جمع سرير . وهو ما يجعل للإنسان من المقاعد العالية الموضوعة للراحة والكرامة .

و(الموضونة) المنسوجة بالذهب . وقيل : المشبكة بالدر والياقوت . والوضن بالسكون هو النسج المضاعف .

« متكئين عليها متقابلين » مضطجعين على السرر لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض .

و(المعنى) هم ، أى السابقون فى الجنة كائنون فوق سرر منسوجة بالذهب حال كونهم مضطجعين عليها اضطجاع عز وكرامة ، وحال كونهم متقابلين لا ينظر أحدهم فى قفا صاحبه وهو وصف لهم بالعزة والكرامة ، وتهذيب الأخلاق ورعاية الآداب ، وصفاء النفوس والقلوب . اهـ

« يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون » .

« يطوف عليهم » يدور عليهم للخدمة . « ولدان مخلدون » غلمان لا يهرمون ولا يتغيرون ، قد خلقهم الله ابتداء فى الجنة كالحور العين وليسوا من أولاد الدنيا .

فالمراد بخلودهم عدم تغـــيرهم عن حالة الولدان من الطراوة وحسن القد . وبهذا سقط ما يقال : إن اهل الجنة كلهم مخلدون فلم نص على الخلود هنا ؟ وحاصل الجواب : ان المراد بخلودهم ما ذكرناه ، والمراد بخلود اهل الجنة عدم الفناء .

(بأكواب) جمع كوب ، وهى الأقداح التى لا عرا لها ولا خراطيم (العرى هى ما يمسك بها المسماة بالآذان والخراطيم ما يصب منهـــا المسماة بالبزابيز) اه جمل .

(وأباريق) جمع إبريق ، هى آنيـة لها عرا وخراطيم وهى والأكواب من أوانى الخمر .

و (كأس) الـكأس إناء شرب الخمر ، ولا يقال له كأس إلا إذا كان الشراب فيه .

وقوله « من معين » بيـان لما فى الأكواب والأباريق والـكأس — على القول الراجح — أى الـكل من خمر منبع لا ينقطع أبداً .

« لا يصدعون عنها ولا ينزفون » بكسر الزاى وفتحها ، أى لا يصدر عنها صداعهم ، ولا تذهب بالسـكر منها عقولهم ، كما هو الحال فى خمر الدنيا ، فإنها تورث الصداع ، وتذهب العقول .

« وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون » كلمة (فاكهة) وكلمة (لحم) معطوفتان على كلمـــة (أكواب) فى قوله تعالى : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب »

فتفيد الآية أن الولدان يطوفون على أهل الجنة بالفاكهة واللحم أيضا كما يطوفون عليهم بالأكواب والأباريق والـكأس .

وقد استشـكل هذا بأنه قد جاء فى الآثار أن فاكهة أهل الجنة وثمارها ينالها القائم والقاعد والنائم ، وأن الرجل يشتهى الطير من طيور الجنة فيقع فى يده مقليا نضجا .

وإذا كان الأمر كذلك استغنى عن طواف الولدان بالفاكهة واللحم - وأجيب بأن الطواف - والله أعلم - يكون حالة الإجتماع والشرب فى

الجنة زيادة فى الإكرام وإمعانا فى التعظيم، كما يناول أحد الجلساء على خوان الآخر بعض ما عليه من الفواكه واللحوم ونحو ذلك، وإن كان ذلك قريباً منه اعتناء بشأنه، وإظهاراً لمحبته والاحتفاء به. اه آلوسى.

« مما يتخيرون » مما يأخذون خيره وأفضله، والمراد مما يرضونه « مما يشتهون » مما تميل إليه نفوسهم وترغب فيه.

وتقديم الفاكهة على اللحم، للاشارة إلى أن أهل الجنة ليسوا بحالة تقتضى تقديم اللحم، كما فى الجائع فإن حاجته إلى اللحم أشد من حاجته الى الفاكهة، بل هم بحالة تقتضى تقديم الفاكهة واختيارها كما فى الشبعان فإنه الى الفاكهة أميل منه الى اللحم.

وإنما قال فى جانب الفاكهة: « يتخيرون » وفى جانب لحم الطير « يشتهون » لكثرة انواع الفاكهة واختلاف طعومها وألوانها وأشكالها وعدم كون لحم الطير كذلك.

وفى التعبير بقوله: « يتخيرون » دون يختارون، وإن تقاربا معنى إشارة إلى التعمق فى الاختيار والتمعن فيه، حتى يأخذوا منها ما يكون فى نهاية الكمال.

« وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون »

تقدير هذه الآية: ولهم حور عين و (الحور) النساء شديدات البياض فى الأجساد جمع « حوراء ». و (العين) شديدات سواد العين مع سعتها جمع عيناء، اه جمل.

وقيل: (الحور) شديدات سواد العيون وبياضها، و (العين) ضخام العيون. اه جلال الدين السيوطى.

« كامثال اللؤلؤ المكنون » أى كاللؤلؤ المستور فى الأصداف، المصون الذى لا تمسسه الأيدى ولم تقع عليه الشمس والهواء، فيكون فى نهاية الصفاء.

وقد جاء فى الحديث فى وصف الحور: « صفاؤهن كصفاء الدر الذى لا تمسه الأيدى ».

« جزاء بما كانوا يعملون »

تقدير هذه الجملة : يعطون ذلك كله للجزاء بأعمالهم .

لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلا سلاماً سلاما »

« اللغو » مالا يعتد به من الكلام وهو الذى يرد لا عن روية وفكر ، وقد يسمى كل كلام قبيح لغواً . و (التأثيم) الكذب والباطل و(إلا) بمعنى لكن . و (قيلا) قولا . (سلاما سلاما) بدل من (قيلا) . فصار تقدير الجملة : لا يسمعون فى الجنة لغوا لكن يقولون قولا سلاما سلاما . أى يحيي بعضهم بعضاً بالسلام والتكرار فى لفظ (سلاما) للدلالة على فشو السلام وكثرته فيما بينهم ، لأن المراد أنهم يقولون: سلاما بعد سلام . اهـ قرطبي .

بيان المعنى الإجمالى

(المعنى) : يدور على السابقين إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق فى الجنة . غلمان لا يهرمون ولا يتغيرون ، قد خلقهم الله فيها ابتداء كما خلق الحور العين ، وأعدهم لخدمة أهلها زيادة فى تكريمهم ، وإعلاء شأنهم ورفع منزلتهم .

يدور عليهم باقداح وأباريق وكاس كلها ممتلئة من خمر منبع فوار فى الجنة لا ينقطع أبداً . ثم وصف تلك الخمر بانها لا تورث الصداع ولا تستر العقول كخمر الدنيا. ويدورون عليهم أيضا بفاكهة يتخيرون أفضلها وأكلها ولحم طير تشتهيه نفوسهم وترغب فيه

ولهم فى الجنة حور شديدات بياض الأجساد ، شديدات سواد العيون مع سعتها كأمثال اللؤلؤ المستور فى الأصداف الذى لم تمسسه الأيدى ، ولم تغيره شمس ولا هواء .

وهذا كله جزاء لهم على ما قدموا من صالح الأعمال ، وجميل الفعال فى الحياة الأولى .

ثم أكمل لهم النعمة فأخبر - جل وعلا - أنهم فى الجنة لا يتكدرون بسماع الكلام القبيح ، والكذب والباطل ، بل يحيون بعضهم بالسلام بعد السلام . والله أعلم .

عبد الرحيم فرغل البليني

آداب الناس والسامعين

لفضيلة الأستاذ الشيخ على محمد الضباع شيخ عموم المقارىء المصرية

يجب على جميع الناس الإيمان بأن القرآن هو كلام الله تعالى وتنزيله، ثم تعظيمه، والخشوع عند تلاوته، والاعتناء بمواعظه، والعمل بأحكامه وتنزيهه وصيانته من كل نقص، وينبغى لهم فى مجلسه اجتناب الضحك واللغط والحديث إلا كلاماً يضطر إليه، وليمتثلوا قوله تعالى «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون» وليجتنبوا النظر إلى ما يلهى أو يبدد الذهن وإلى الأمر ونحوه، ولينهوا عن ذلك غيرهم متى قدروا عليه. وينبغى لهم تعظيم قرائه واحترامهم والقيام بمصالحهم والتأدب فى حقهم كما يتأدب فى حضرة النبى ﷺ لو كان موجود لأنهم ورثوه كما تلقى من الحضرة النبوية ويحرم عليهم تفسيره بغير علم، والكلام فى معانيه لمن ليس من أهلها، ويحرم المراء فى القرآن والجدال فيه بغير حق.

فهذه الآداب جميعها تنبغى المحافظة عليها بقدر الطاقة، لأنه ورد أن من ابتلى بترك الآداب وقع فى ترك السنن، ومن ابتلى بترك السنن وقع فى ترك الواجبات. ومن ابتلى بترك الواجبات وقع فى ارتكاب المحرمات. ومن ابتلى بارتكاب المحرمات وقع فى ترك الفرائض. ومن ابتلى بترك الفرائض وقع فى استحقار الشريعة. ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر، نعوذ بالله من ذلك.

الحـــديث النبوى

مقاصده ، ألفاظه ، معانيـه

أردت أولا أن أجعل موضوع هذا البحث (البلاغة النبوية) فقط ولـكنى رأيت ذلك لا يشمل الحديث عن مقاصد الـكلام النبوى الـكريم وما فيه من توجيه صـــالح وثقافة تهذيبية وإرشـاد سام يشبه النفس العظيمة التى صـدر عنها ، ويرتفع بمستوى النفس البشرية عن كل رعونتها ، حتى يصل بينها وبين السماء بأقوى وصلة وأحكم رباط . وذلك شىء يفوت على وعلى القارىء الـكريم فرصة حبيبة إلى كل نفس مسلمة ، فإن الحاجة إلى التـأنق بين رياض الإسلام ومقاصده الشريفة يتجلى فى موضوعات حديث صاحب الرســالة ﷺ ، ليست أقل من الحاجة إلى معرفة البلاغة النبوية على سمو هذه المحاولة فإنها ناحية فنيـة كمالية لا يتطرق العوز بها إلى كل شخص ، فاما مقاصد الإسلام فإنها ضالة كل إنســـان فى الوجود ، والتعريف بها ولو على وجه كلى مجمل توجيه إلى كل فرد وكل جماعه وكل أمة كيف تسلك سبل النجاة والرفعة فى دينها ودنياها من أقرب طريق وعلى أصح وجه .

واظن أن القارىء الـكريم فى غير حاجة أن يعلم أن معنى البلاغة النبوية شىء خاص يرجع إلى دراسة الألفـاظ ومزاياها فى دلالتها على معانيها وما فيها من صفات وجازة أو بسط ، وتقديم فى الأسلوب أو تأخير أو حذف وفصل بين الجمل أو وصـل ، وما إلى ذلك من أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال كما يقولون . وذلك شىء فى ذاته يجرى مع كل عرض سما أو نزل ، ويقع فى الهجر والإثم كما يتحقق مع الحق والحـكم ، ويكون مع

الحطيئة والفرزدق أقوى مما يكون مع حسن البصرى أو الحسن بن على أحيانا .

لهذا جعلت موضوع هذه المحاولة (الحديث النبوى) من جميع نواحيه سواء منها ما يتصل بأغراضه ومقاصده ، وما يتصل بألفاظه وبلاغتها ، وما يتصل بمعانيه وامتيازها فى لطفها مع بساطتها ، وعلوها مع دنوها ، ويسرها مع اعتياصها على محاولها، وسترى تصوير ذلك كله مقربا ميسراً إن شاء الله .

فأما موضوع الحديث النبوى ومقاصده ، فإنها رسالة الإسلام العظمى التى قامت على هداية الناس ودعوتهم إلى ما يرفع مستواهم ، ويصلحهم فى دينهم وآخرتهم ودنياهم من أقرب الطرق وعلى أصح الوجوه ذلك هو سبيل الكلام النبوى الشريف : لا ينطق عن الهوى ، ولا يلفظ العوراء ، ولا يقرب الخنا حتى إنه كان إذا مزح لا يقول إلا حقاً وإذا أراد إخفاء أمر عرض فى قوله فكان صدقا ، يقول فى بعض حديثه « ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب » .

لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فكان الخير يتضوع من جميع جوانبه ونواحيه ويتمثل فى قوله كما يتجلى فى فعله ، وكان يأبى الا أن يكون مشرعا أمينا وناصحاً مبيناً . فهو يتوقف عما لم يوح به اليه فى مقام التعليم ويقول لمن سأله عن الحجج : أفى كل عام يارسول الله ؟ « لو قلت نعم لوجبت ولم تستطيعوا . اذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه واذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم »

وليس معنى ذلك أن كلام النبى صلى الله عليه وسلم كان وحياً كله ، ولا أنه كان تشريعا فى جملته وتفصيله فإنه ﷺ كانت له ناحية البشرية التى تحقق له بعض الملذات وتمتعه أحيانا بالطيبات ، يقول القول أحياناً فلا يمضيه لأن الله يصرفه عنه الى ما هو خير منه ، وذلك هو معنى

العصمة فى جانبه ﷺ ، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه مسلم وغيره عن رافع بن خديج « انما أنا بشر ، اذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشىء من دنياكم فإنما أنا بشر ».

وهذا شىء لا أريد أن أخوض فى تفصيله ولا هو من شأنى الآن ، إنما أريد أن أصور أن حديث رسول الله فى جوانب الخير ونواحى الإصلاح وأنه لم يكن يتناول من الموضوعات إلا ما يتفق مع سمو شخصه ، ويتناسب مع رسالته . وانه وصف فى التوراة والإنجيل بما يحقق فيه الأسوة الصالحة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، لا يقابل السيئة بمثلها ولكن يعفو ويصفح . ووصف فى القرآن الكريم بقول الله سبحانه « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » ، ووصف فى السنة بأن مجلسه لا تؤبن فيه الحزم ، وأنه لا يسمع القبيح ولا يقره ، فحال أن يصدر عنه ومن شاء فليتابع كل ما نقل عنه الناقلون فى أخباره وسيرته ، هل يرى فيها إلا ما يشبه رسالته ويناسب صفته ، من قول صالح وعلم نافع .

موضوع السنة النبوية الكريمة إذاً هو كل ما تشتهيه النفوس السليمة مما يدعو إلى تقوى الله ، وصلاح المجتمع ، ومقاومة كل رعونة فى الأرض من ظلم وبغى ، أو حسد ، أو مكر أو سقم فى العقل ، تقع فيه روضات فيح وجنات ، وتزكية من الضلالات ، فإنك فى حديثه ومع سنته كصاحب المسك : إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد ريحا طيبة .

واليك بعض الصور من تلك من المقاصد السامية والأغراض الكريمة :

من أغراض السنة الكريمة بيان دعوة المرسلين جميعاً من عبادة المستحق للعبادة وهو الله وحده . وافراده سبحانه بكل مظاهر التعظيم واخلاص الأعمال كلها لوجهه .

فما جاء فى ذلك قوله ﷺ « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا » « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » .

وعن مالك بن عوف الأشجعى قال : « كنا عند النبي ﷺ فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا : علام نبايعك يارسول الله ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وتصلوا الصلوات الخمس (وأسر كلمة فى خفية) قال : ولا تسألوا الناس شيئاً . فلقد رأيت أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه » . وهذا الغرض أساس الإسلام ومحور الدين الكريم .

ويتصل بذلك الدعوة إلى عزة الإسلام ، وعدم الخضوع والذلة لمخلوق أياكان .

وفى ذلك يقول ﷺ لابن عباس « يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو أجمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك » .

ومن أغراضه الكريمة مقاومة خرافات الجاهلية وجهالاتها من التفاوت بين الناس ، ونظام الطبقات واعتداء القوى على الضعيف ، وما إلى ذلك مما أشاعته الفوضى والجهالة بلا عقل سليم ولا منطق مفهوم ، وما أكثر هذا الغرض فى السنة ، كقوله ﷺ « أنهاكم عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، ووأد النبات ، ومنع وهات ، إن الله تعالى قد رفع عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء » دعوا دعوى الجاهلية ذميمة ، لا حمى إلا الله ورسوله ، لا عدوى ولا طير ولا هامة ، من أتى منجما أو كاهناً أو عرافاً فقد كفر بما أنزل على محمد . من حلف بغير الله فقد أشرك ، الناس سواسية كأسنان

المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

ومن أغراضه الكريمة الدعوة إلى مكارم الأخــــلاق من العدل والإحسان بين الأخ وأخيـه وبين الراعى والرعية وتعهد بعض الناس لبعض بمعونة الضعيف وإغاثة اللهفان ، وإطعام الجائع وكسوة العارى ، ومن بسطة الوجه وحسن الخلق وتوطئة الأكناف وكل ما يبعث على المحبة ويغرس الألفة والمودة ، حتى يعيش الناس اخواناً متصافين يشيع فيهم السلام والوئام فيعبدوا الله ، ويسعدوا فى هذه الحيــــاة ، مما لو أخذ العالم ببعضه لكانت الدنيا جنة لأهلها لا جحيما كعهدك اليوم بها .

وإليك بعض ما فى السنة الكريمة من ذلك :

« كل سلامى من الناس عليه صدقه . كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقه ، والكلمة الطيبة صدقة ، ودليل الطريق صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » .

ألا بأبى أنت وأمى يارسول الله ما تركت باباً من الخير فيه سعادة إلا وجهت إليه ، ولا تركت باباً من الخير فيه مساس بإنسان أو حيوان إلا نهيت عنه .

وفى الصحيح أيضاً « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» .

« ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له صدقة » .

« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم

فليسعهم منكم بسطة الوجه وحسن الخلق ».

« إن أحبكم إلى وأقربكم منى منازل يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون ». وما أكثر ذلك الإرشاد والرشــــاد فى السنة المحمدية .

وهو ﷺ يحث على احترام حقوق المسلم ، ويحرم دمه وماله وعرضه ويقول : « من قطع رجاء أخيه قطع الله رجاءه ». « إذا أشار الرجل على أخيه بالسلاح فهما على حرف جهنم ».

وهو ﷺ يوصى بالمرأة ، وينفى ما كانت عليه الجاهلية من إهدار آدميتها ، ويرفع من شأنها ، ويأمر بمراقبة الله فيها فيقول فى بعض ما يحدث :

« ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان . ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ».

ومن أغراضه الكريمة التزهيد فى الدنيا حتى تصفو النفس وتستقبل المكارم ، وحتى يتحاب الناس ويعرف بعضهم حق بعض ، فمن ذلك قوله ﷺ (ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك . ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع . ابن آدم إذا أصبحت معافى فى بدنك آمنا فى سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس)

ولو أننى ذهبت أتتبع ما جاء من أغراض فى التشريع الصالح ، والإرشاد المنقذ الشامل ، لخرجت عن القصد ولما استطعت ، فإن موضوع ذلك الأسفار الضخام من كتب السنة الكريمة . ولكننى بصدد الإشارة بسمو غرضه والإشارة الى بعض اتجاهه وتوجيهه ، وبيان أن كلامه ﷺ أسمى كلام فى مقاصده ، كما أنه أسمى شىء بعد كلام الله فى بلاغته .

محمود النواوى

ما يجب على كاتب المصحف وناشره

بقلم فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى — شيخ معهد القراءات

تمهيـــد

هل يجب التزام الرسم العثمانى فى كتابة المصحف الشريف ، أم يجوز أن يكتب حسب القواعد العامة للإملاء ؟ اختلف العلماء فى هذه المسألة على أقول ثلاثة . ا

القول الأول : أنه لا يجب التزام الرسم العثمانى بل تجوز كتابة المصحف حسب القواعد الإملائية العامة .. وممن أيد هذا القول وانتصر له ابن خلدون ، والقاضى أبو بكر الباقلانى فى آخرين .

القول الثانى : أنه تجب كتابة المصحف لعامة الناس على القواعد الإملائية المعروفة لهم ، ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثمانى ، وممن جنح إلى هذا صاحب البرهان وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام .

القول الثالث : أنه يجب التزام الرسم العثمانى فى كتابة المصاحف ، وإلى هذا ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف .

أدلة القول الأول : استدل أصحاب هذا القول بأدلة ثلاثة الأول ـ أن هذه الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وأمارات فكل رسم يدل على الكلمة . ويفيد وجه قراءتها فهو رسم صحيح وكاتبه مصيب . الثانى ـ أن كتابة المصحف على الرسم العثمانى قد توقع الناس فى الحيرة والالتباس ، والمشقة والحرج ، ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة السليمة فيحرمون من الحصول على الثواب الموعود به على تلاوة القرآن الكريم ، وربما يتعرضون للعقوبة

والإثم إذا قرؤا قراءة غير صحيحة ، فينبغى كتابة المصحف حسب قواعد الإملاء الحديثة تيسيراً على الناس ، ودفعاً للحرج والمشقة عنهم ، وتمكيناً لهم من القراءة الصحيحة حتى يحصلوا على الأجر الموعود به على تلاوة القرآن الكريم . الثالث ـ ليس فى الكتاب العزيز ، ولا فى السنة المطهرة ، ولا فى إجماع الأمة ولا فى قياس شرعى .. ليس فى شىء من ذلك ما يحتم على من يريد كتابة مصحف أن يكتبه برسم معين ، وكيفية مخصوصة ، ولذلك لم يرو عن الرسول الأعظم أنه أمر أحداً من كتاب الوحى حين كتابته أن يكتبه برسم خاص ، ولا نهى أحداً عن الكتابة بهيئة معينة .

أدلة القول الثانى : واستدل أصحاب هذا القول بأن كتابة المصحف بالرسم العثمانى يوقع الناس فى المشقة والحرج . ويفضى بهم إلى التغيير فى كتاب الله تعالى بالزيادة فيه ، أو النقص منه ، قالوا : ومع هذا يجب الاحتفاظ بالرسم العثمانى لأنه من آثار سلفنا الصالح ، فلا نتغاضى عنه بالكلية مراعاة لجهل الجهلاء ، بل يبقى فى أيدى العارفين الذين لا يخلو زمان من وجودهم ، وتشرف الزمان بهم ، قال صاحب التبيان : أما كتابة المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس ، وتحاماه أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك ، وقد سئل هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء فقال : لا إلا على الكتبة الأولى . قال فى البرهان : قلت وهذا كان فى الصدر الأول والعلم غض حى . وأما الآن فقد يخشى الالتباس .. ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة . . لئلا يوقع فى تغيير من الجهال قال فى البرهان ولكن لا ينبغى إجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤدى إلى درس العلم : وشىء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة اه .

أدلة القول الثالث : استدل أصحاب هذا القول بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي ، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم ، وأقرهم الرسول على كتابته ، وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وقد كتب القرآن على هذه الكيفية المخصوصة ، لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل . . ثم تولى الخلافة بعده أبو بكر فكتب القرآن كله فى الصحف على هذه الهيئة ، ثم جاء عثمان فنسخ المصاحف العديدة من صحف أبى بكر وكتبها كلها على هذا الرسم أيضاً . ووزعها على الأمصار لتكون إماماً للمسلمين . ولم ينكر أحد من الصحابة على أبى بكر ولا على عثمان ، بل ظفر كل منهما بإقرار جميع الصحابة لعملهما ، ثم جاء عصر التابعين ، وأتباع التابعين ، والأئمة المجتهدين ، ولم يثبت أن أحداً منهم حدثته نفسه بتغيير رسم المصاحف ، وكتابتها برسم آخر يساير الرسم المحدث ، بل ظل هذا الرسم منظوراً إليه بعين التقديس والإكبار . فى سائر العصور المختلفة ، والأزمان المتفاوتة مع أنه قد وجد فى تلك العصور المختلفة أناس يقرءون القرآن ولا يحفظونه ، وهم فى الوقت نفسه لا يعرفون من الرسم إلا ما وضعت قواعده فى عصر التأليف والتدوين ، وشاع استعمالها بين الناس فى كتابة غير القرآن ، ولم يكن وجود هذا الصنف من الناس مما يبعث الأئمة على تغيير رسم المصحف بما تقضى به تلك القواعد ، وإذا كان هذا الرسم قد حظى بإقرار الرسول ﷺ . وإجماع الصحابة ، واتفاق التابعين وأتباعهم ، والأئمة المجتهدين عليه فلا يجوز العدول عنه إلى غيره . خصوصاً وأنه أحد الأركان التى تنبنى عليها صحة القراءة ـ وإليك نصوص أئمة الدين وأعلام الإسلام فى ذلك .

روى السخاوى أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة سئل : أرأيت من استكتب مصحفاً أرأيت أن يكتب على مااستحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى : قال

السخاوى : والذى ذهب إليه مالك هو الحق إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى بعد الأخرى ولا شك أن هذا هو الأحرى . إذ فى خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما فى الطبقة الأولى اه .

وقال أبو عمرو الدانى : لا مخالف لمالك من علماء هذه الأمة ، وقال الدانى أيضاً سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو والياء والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه شىء من ذلك ؟ قال لا قال أبو عمرو يعنى الواو والياء والألف الزائدات فى الرسم ، المعدومات فى اللفظ ، نحو « لا أذبحنه » و « بأييد » و « أولوا » وهكذا . وقال الإمام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك ، وقال صاحب المدخل : ويتعين على كاتب المصحف أن يترك ما أحدثه بعض الناس فى هذا الزمان من نسخ المصحف على غير المرسوم الذى اجتمعت عليه الأمة وقال النيسابورى ، وقال جماعة من الأئمة أن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم فى خط المصحف فإنه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله ﷺ وكاتب وحيه . وقال البيهقى فى شعب الإيمان : من كتب مصحفاً ينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة منا فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم ، ونقل الإمام الجعبرى وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثمانى .

والذى تطمئن إليه النفس ، ويوحى به الدين ، وتهدى إليه الأدلة هو القول الثالث لأمور .

أولا — أن ما أورد أصحاب هذا القول من نصوص علماء الإسلام ظاهر فى وجوب التزام الرسم العثمانى فى كتابة المصاحف .

ثانياً — أن قواعد الإملاء والهجاء الحديثة عرضة للتغيير والتنقيح

فى كل عصر وفى كل جيل ، وحيطتنا للكتاب العزيز وتقديسنا له يضطرنا إلى أن نجعله بمنأى من هذه التغييرات فى رسمه وكتابته .

ثالثا — أن تغيير الرسم العثمانى ربما يكون مدعاة - من قريب أو من بعيد - إلى التغيير فى جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية . وفى ذلك ما فيه من الفتنة الكبرى ، والشر المستطير ، وسد الذرائع مهما كانت بعيدة أصل من أصول الشريعة الإسلامية التى تبنى عليها الأحكام ، وما كان موقف الأئمة من الرسم العثمانى إلا بدافع هذا الأصل العظيم مبالغة فى حفظ القرآن الكريم . وصيانة له من العبث .

رابعاً — فى هذا الرسم خصائص ومزايا كثيرة وقد تكفل علماء الرسم ببيانها فارجع إليها إن شئت .

وأما ما يتعلل به أصحاب الرأيين الأولين من أن كتابة المصاحف على الرسم العثمانى توقع الناس فى حيرة وارتباك إلخ ما قالوه فمردود بأن المصاحف فى هذا العصر . خصوصاً المصحف الحكومى . قد ضبطت بالشكل التام وألفها الناس ومرنوا على القراءة فيها من غير حرج ومشقة ومن قرأ « التعريف بالمصحف الأميرى — الموضوع فى ذيله يستطيع أن يقرأ فى المصحف بغاية اليسر والسهولة » وبناء على هذا .

يجب على كاتب المصحف وناشره : أن يتحرى كتابته على قواعد الرسم العثمانى ، ولا يخل بشىء منها بزيادة أو نقص ، أو إثبات أو حذف ، صيانة للقرآن الكريم من عبث العابثين ، واقتــداء بالصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين . وأعلام الإسلام فى سائر الأعصار والأمصار ، لا فرق فى ذلك بين المصاحف الكاملة ، والصحف الصغيرة « الأجزاء » التى يتعلم فيها الصغار ومن فى حكمهم من الكبار ، ليتمرنوا على قواعد هذا الرسم منذ نعومة أظفارهم ، وعلى معلمى القرآن حيثما كانوا ألا يدخروا وسعاً فى تعليم أبنائهم تلك القواعد

من الصغر . حتى يشبوا وقد وقفوا عليها ، وأحاطوا بها خبراً وأصبحت القراءة فى المصحف سجية لهم ، وميسورة عليهم « ويجب على كاتب المصحف أيضا أن يرسم الكلمات رسما يوافق الرواية التى يكتب المصحف عليها ولو احتمالا فيرسم « وسارعوا » بإثبات الواو إذا كان يكتب على رواية حفص مثلا ، ويرسم « مالك يوم الدين » على رواية حفص أيضاً بحذف الألف لأن رسمه كذلك يوافق رواية حفص احتمالا فيمتنع رسم الكلمات بما لا يوافق الروايه لا صراحة ولا احتمالا فتأمل .

ويستحب من كاتب المصحف — وكذا من ناشره — أن يجتهد فى تحسين كتابته وإيضاحها ، وتبيين حروفه وتجويدها وأن يكتبه فى حجم كبير احتراما للقرآن الكريم ، وتعظيما لشأنه ولذلك ورد أن عمر بن الخطاب وجد مع رجل مصحفا قد كتبه بخط دقيق فكره ذلك عمر وضرب الرجل وقال له « عظموا كتاب الله » . وتجوز كتابة المصحف بالذهب وقد استحسن هذا الإمام الغزالى ولكن ورد عن ابن عباس وأبى ذر وأبى الدرداء أنهم كرهوا ذلك ، وقد مر على ابن مسعود رجل يحمل مصحفا قد زين بالذهب فقال ابن مسعود : إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق ، ويجوز نقط المصحف وشكله .

وقد كرهه جماعة من السلف ، وروى عن الإمام مالك أنه أباح نقط المصحف وشكله فى مصاحف الصغار ومن فى حكمهم من الكبار ومنع ذلك فى الأمهات أى المصاحف الكاملة وعن الحسن وابن سيرين أنهما قالا لا بأس بنقط المصحف ، وعن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه قال لا بأس بشكل المصحف وقال الإمام النووى من كبار علماء الشافعية : نقط المصحف وشكله مستحب لأن ذلك صيانة له من اللحن والتحريف ، وقال الإمام الدانى فى كتاب النقط « والناس فى جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخص فى ذلك — أى فى نقط المصحف وشكله — فى الأمهات وغيرها ولا يرون

بأسا برسم فواتح السور ، وعددآياتها ورسم الخموس والعشور فى مواضعها والخطأ مرتفع عن إجماعهم اه .
والذى أراه أن نقط المصحف وشكله شكلا كاملا واجب فى هذا الزمن لتيسير قراءة القرآن على سائر الناس ، وللمبالغة فى صيانته من اللحن والتحريف ، وتجوز كتابة أسماء السور وعددآيها ، وبيان كون السورة مكية أو مدنية ، من غير تعرض لذكر المستثنيات لعدم الاتفاق عليها كما تجوز كتابة علامات الأجزاء والاحزاب والارباع والسجدات ، وعلامات الوقوف وأرقام الآيات وعلامات فواتح السور وخواتيمها وقد كره ذلك كله جماعة من السلف لقول ابن مسعود : جردوا القرآن ولا تخلطوا به ما ليس منه اه .

والذى أراه أن ذلك كله لا بأس به وإليه جنح جماهير العلماء من السلف والخلف كما تقدم عن الدانى ويجوز تحلية المصحف بالفضة إكراماً له على الصحيح . فقد أخرج البيهقى عن الوليد بن مسلم قال : سألت مالكا عن تفضيض المصحف فأخرج إلينا مصحفاً فقال : حدثنى أبى عن جدى أنهم جمعوا القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه ، وأنهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه ، وأما بالذهب فالاصح جوازه للمرأة دون الرجل . وخص بعضهم الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه والاظهر التسوية والله أعلم .

الله الله فى القرآن!

للدكتور محمد يوسف موسى

منذ أيام ونفسى تلح على إلحاحا شديداً بكتابة كلمة صريحة فى هذا الموضوع لعل الله ينير منا البصائر فنرى الخطر الداهم الذى يوشك أن ينال الإسلام من أساسه، ويكون من ذلك أن نعمل فى جد وحزم على دفع هذا الخطر قبل ألا نستطيع له دفعاً.

وذلك، أن من ينظر إلى المستقبل القريب، ولا أقول البعيد، يوقن يقيناً لاريب فيه أنه بعد انقراض هذا الجيل من حفظة القرآن لن نجد فى مصر من يحفظ شيئاً منه، بل من يجيد تلاوته من المصحف. وإذا كان هذا فى مصر، معقل الإسلام ورأس العربية والعروبة، فسيكون الأمر كذلك فى غيرها، لأن مصر هى التى تنفرد بحفظ القرآن منذ زمن طويل، وحينئذ يفقد القرآن — لا قدر الله تعالى — صفة التواتر التى يتميز بها عن سائر كتب الله المقدسة.

ولولا أننا نؤمن بقدرة الله، وأنه هو الذى أنزل كتابه هدى ونوراً لخلقه وهو الذى تولى حفظه إذ يقول: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». ليئسنا منذ الزمن البعيد؛ وذلك بسبب السياسة التى تتحكم فى وزارة المعارف والتعليم، والتى انتهت اليوم بعدم وجود معهد رسمى يقوم على تحفيظ القرآن. ونذكر بعد هذا شيئا من التفصيل، لعل فيه تذكيرا للناسى وتنبيها للغافل، والله المستعان:

١ — كانت المدارس الاولية قبل النظام الجديد للتعليم تعنى بعض العناية بالقرآن وتحفيظه، بل كان بالكثير منها «أقسام للحفاظ». واليوم وقد أخذت

رياض الاطفال تحل محل هذه المدارس . أصبحنا لا نجد أثراً لهذه الاقسام بل عدمت العناية بالقرآن فى هذه المرحلة من مراحل التعليم .

٢ — وكانت مدارس المعلمين الاولية تشترط فيمن ينتسب إليها حفظ القرآن كله ، ثم صارت بعد حين تشترط حفظ نصفه ، على أن يؤدى قبل تخرجه الامتحان بنجاح فى حفظه تماما ، واليوم — إبتداء من هذا العام الدراسى — أبيح أن يتقدم لهذه المدارس حملة الشهادة الابتدائية ، ومعنى هذا أنه ألغى شرط حفظ شىء من القرآن فى طلبتها ، بل أصبح لغير المسلم أن يتقدم للانتساب إليها مادام معه الشهادة الإبتدائية .

٣ — وكانت كلية دار العلوم ، تحتفظ حتى العام الماضى بطابعها الإسلامى ، إذ كانت تأخذ طلبتها من الحائزين للشهادة الثانوية من أبناء الأزهر . وهؤلاء يفرض فيهم أنهم يحفظون القرآن تاما أو غير تام . وفى هذا العام الحالى أخذت طلابها من حملة الشهادة التوجيهية الذين لا يحفظون القرآن طبعاً ، إلا من رعاه الله فنشأ فى بيت متدين لحفظ شيئاً منه بوسائله الخاصة . وليس يغنى شيئاً فى هذا السبيل تعهد الطالب أن يحفظ القرآن داخل الكلية ، وأن يؤدى امتحاناً فيه قبل تخرجه ، لأن ذلك يعد تكليفاً بما لا يطاق .

٤ — وكان طلاب المعاهد الابتدائية من الأزهر لا يدخلون هذه المعاهد إلا وهم يحفظون القرآن كله ، ثم تساهل أولو الأمر بالأزهر تحت ضغط ما يسمونه الظروف ، فأصبحوا لا يشترطون إلا حفظ نصفه . ونعتقد أن هذا الشرط الأخير أصبح أيضاً هذه الأيام حبراً على ورق كما يقولون ، وأصبح الكثير من طلبة هذه المعاهد لا يحفظون شيئاً ذا غناء من القرآن .

٥ — وبكلمة واحدة ، صار أبناؤنا يذهبون فى أول نشأتهم إلى رياض الأطفال ، وهذه تسلمهم إلى مرحلة التعليم الابتدائى ، ثم ينتقلون إلى التعليم الثانوى ، وأخيراً إلى الجامعة . فمتى وأين يتعلمون القرآن ويحفظون قدراً صالحاً منه ؟ بل كيف يحسن الواحد منهم تلاوته ؟ !

٦ — يقولون إن منهجا جديداً وضع للتعليم فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وإنه حسب هذا المنهج أصبح للدين ستة دروس فى الأسبوع فى الابتدائى وإثنان فى الثانوى .

وهنا نذكر أن لا يخصص للقرآن فى هذا المنهج إلا ثلاثة دروس فى الابتدائى ودرس فى الثانوى ، فهل فى هذا كفاية لحفظ شىء من القرآن ؟ ثم إن مادة الدين كلها لا امتحان فيها[1]. ومن ثم لا يهتم التلاميذ ولا المدرسون بها طبعا، بل إن جمهرة هؤلاء يشغلون دروسها بدروسهم فى المواد الأخرى ، وبذلك يصبح أمر تعليم الدين لعباً وسخرية بالدين نفسه !

٧ — وقد يقال بأن هناك جمعيات خاصة غير رسمية تهتم بتحفيظ القرآن، ولكن من أين تستمد هذه الجمعيات تلاميذها من أبناء الأمة ؟ إن الآباء تفتنهم رياض الأطفال والمراحل الأخرى الرسمية للتعليم ،كما يفتنهم المستقبل الزاهر لخريجى هذه المعاهد والجامعة من بعدها. والنتيجة الطبيعية لهذا وذاك، الإنصراف عن جمعيات تحفيظ القرآن ، وبخاصة وليس لخريجها أى ضمان للمستقبل الطيب والحياة الكريمة .

٨ — لقد رأينا إذن من ذلك ، أن نظام التعليم العام ، الذى يتولى النشء وهم أطفال حتى يتخرجوا من الجامعة ، قد وضع ليصرف الأمة عن حفظ القرآن ، بل عن العناية بإجادة تلاوته ! وهذا إلى درجة تجعل من المتعذر أن يجد من يريد لأبنائه حفظ القرآن الوسيلة لذلك !

وبعـــد

أيها الناس ! نريد أن يعلم من يجب أن يعلم أن مصر بلد إسلامى ،وأنها معقل الإسلام فلا تبغى عنه حولا ، وأننا مصممون على أن نظل دائماً رعاة الإسلام وحماته ، وأنه لا سبيل لذلك إلا بالعناية بالقرآن كتابه الأول :

---

(١) نحمد الله للحكومة الحازمة أن تقرر أخيراً الامتحان فى مادة الدين .

حفظاً ومدارسة وفهماً وعملا به ، وبسنة الرسول الكريم ، وأنه ليس فى شىء من ذلك دعوة لفرقة دينية أو طائفية ، فالإسلام أحرص الأديان على الألفة والمودة وجمع كلمة أبناء الوطن الواحد ، مادام كل من أبنائه متمسكا بدينه لايريد بأخوته فى الوطن أى شىء من الظلم أو العدوان ، وفى ذلك يقول القرآن نفسه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

أيها المسلمون . . إن القرآن كتاب الإسلام ودعامته وأساسه الوحيد ، وإن الله قد أنزله هدى للمتقين ونوراً أخرج به العالم من ظلمات الشرك والجهالة وإنه المصدر الأول لشريعة الإسلام ونظمه الرشيدة الحكيمة فى الحكم والإدارة هذه النظم التى بها صلاح المسلمين والعالم كله فى الحاضر والمستقبل من الزمان .

أيها المسلمون.. إن هذا الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل العليم الحكيم ، هو الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه مارواه سيدنا على رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ستكون فتن كقطع الليل المظلم » ، قلت يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله تعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله . هو حبل الله المتين ، ونوره المبين . . وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه .. من حكم به عدل ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هُدِى إلى صراط مستقيم(١) » .

أيها المسلمون : لقد عشت فى باريس مدة طويلة من الزمن ، وفيها عرفت

(١) راجع الحديث كله فى أحكام القرآن للقرطبى ؛ جـ ١ : ٤ من الطبعة الأولى لدار الكتب .

كثيراً من أبناء الشعوب الإسلامية من شتى أقطار الأرض ، وتحققت أن الله اختص مصر بميزة حفظ القرآن والقيام عليه ، إذ قصارى غير المصريين إجادة تلاوة من المصحف ، كما كنا نسمع من القارىء يوم الجمعة بمسجد باريس . بل عرفت أن من الشعوب الإسلامية من لا يجدون السبيل لاقتناء المصحف ، أمثال غرب إفريقية الواقعة تحت سلطان فرنسا العاتية فى ظلمها وجبروتها متى وجدت نفسها إزاء شعب ضعيف ، وأمثال أبناء جنوب أفريقية الذين يسيطر عليهم النفوذ الانجليزى الاستعمارى الظالم . وإن علينا ، حين نعلم ذلك ونلمسه ونراه ، أن نعمل فى جد وحزم وقوة على أن نحتفظ بالميزة التى اختصنا الله بها وأن نعمل كذلك على أن يصل القرآن لكل أبناء الأمة الإسلامية ومعه قوم يقومون على تحفيظه وتفهيمه ودراسته ، وذلك كله كما تفعل الدول والأمم المسيحية فى هذه البلاد بالنسبة للتوراة والإنجيل ونشر الدين المسيحى بكل طريق ، وذلك برغم ما يزعمون من حريه الاعتقاد !

أخى فى الله والوطن الرئيس محمد نجيب ، إن الله قد خصك بمكرمة لم يخص بها أحداً من أبناء هذا الجيل ، واصطفاك لرسالة تؤديها فى هذا الزمن لمصر والإسلام ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وإن الله لا يخلى من يصطفيه لأمر جلل كالذى اصطفاك له من نصره ورعايته ، متى ظل قائماً على رسالته عاملا على تحقيقها بكل سبيل يتفق مع الحق والقانون . هذه الرسالة هى إعادة بناء هذه الأمة بعد أن زال طاغوتها وطغاتها ، ولا سبيل للبناء الصالح للخلود إلا أن يقوم على أسس سليمة قوية ، وأول هذه الأسس هو القرآن وما جاء به فعلينا أن نمكن له من صدور أبناء الأمة الإسلامية جميعاً ، وذلك بالعمل على حفظه بمصر ونشره فى سائر بلاد الإسلام .

وليس لهذا إلا طريق واحد ، بعد أن سُدت الطرق فى ظل قانون التعليم ونظمه القائمة الحالية على من يريد حفظ القرآن فى معاهد الدولة ، وهذا الطريق هو إصدار قانون يحتم حفظ نصف القرآن الكريم مثلا فى المرحلتين الابتدائية

والثانوية . وبعد ذلك يكون من الممكن ، متى عرف الشاب المثقف المسلم جدوى القرآن فى تقويم لســـانه وتثقيف عقله ، واطمئنان قلبه وتحبيبه إلى المثل الأخلاقية العليا - نقول : بعد أن يدرك الشاب المسلم ذلك ونحوه ، يندفع من نفسه لحفظ باقى القرآن .

ثم إصدار قانون آخر يعترف بجمعيات تحفيظ القرآن ، ويعين تلاميذها ويعترف بشهادتها النهائية ، وأنها تجيز لهم الالتحاق فى المدارس الثانوية مع التجاوز عما يكون من فرق السن ، مع تعديل مناهجها بما يؤهلهم لذلك بعد أن يكونوا قد أتموا حفظ القرآن .

هذا هو ما يريده الاسلام من الدولة فى هذا السبيل . أما الأزهر فعليه أن يعود إلى سنته الأولى ، فيحتم شرط حفظ القرآن على من يريد الانتساب إليه ، وينفذ هذا الشرط فعلا ، وإن العمل لذلك أولى برجال الأزهر من أن يدس بعضهم لبعض ويصارع بعضهم بعضاً فى سبيل هذا المنصب والجاه والنفوذ

وأخيراً ، إننا لم نقم بواجبنا فى هذا السبيل : حكومة وهيئات وشعبا ، لم يكن لنا أن ننتظر عناية الله وبصره ، وكنا أمة مسلمة بنص الدستور فحسب ، دون الواقع العملى ، أمة تقول ولا تفعل وتتمنى ولا تريد ، أو تريد ولا تصمم على تحقيق ما تريد من الخير لها وللعالم كله ، ونعوذ بالله من أن نصير إلى ذلك بعد أن استيقظنا من النوم ، وتخلصنا من سياسة العهد الذى نرجو أن يكون قد انتهى إلى غير رجعة بكل سيئاته وأوزاره ورجاله وأحزابه .

هذا ، وليس من العسير على من يريد ممن تقدمت بهم السن حفظ باقى القرآن ، متى حفظ قدراً صالحاً منه فى صغره ، وبخاصة ومعرفته بعلوم اللغة وما إليها تعينه على حفظ القرآن إذا صار أهلا لتذوقه وفهمه ، ولعل من الخير أن نشير هنا إلى ما أحرزه كثير من شباب «الإخوان المسلمون» من النجاح فى هذا السبيل[1] والله الموفق لكل خير ، ونسأله العون والتوفيق .

---

(١) انظر ما كان عليه أقطار الإسلام فى هذه المسألة ، فى مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٧ — ٤٤٩ ، طبع بمطبعة التقدم عام ١٣٢٢ ﻫ ، فى الفصل الخاص بتعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية فى طرقه .

الصوم المطلوب

يمر الزمن كل عام بشهر رمضان المبارك ، ويدور فى فلكه يطوى الصباح والمساء فى عبادة جليلة ، وفى روحانية ترتفع بالإنسان عن أثقال المادة الراسبة ، إلى مصاف الملأ الأعلى .

والصوم فى مؤداه اللغوى إمساك عن الملذات وإحجام عن الشهوات . وفى مفهومه المعنوى تهذيب النفوس ، وتثقيف للأخلاق ، وتشبه بالعالم النورانى القدسى .

وفى هذا الشهر الفضيل تجمل المناجاة بما يغذى العقول والألباب ، وبما يروق القلوب النقية ، والأفئدة المطمئنة ، وبما يدنى إلى المجد والكمال .

والنجوى إذا ناسبت مقام الرشاد كانت أقرب للخير والمثوبة ، وألصق بالفهم ، وأمس للشعور ، وأحرى أن تفيد الأثر المأمول ، وتحقق الغرض المقصود .

ومن المعلوم أن الصوم أحد أركان الإسلام الخمسة ، وأركان الإسلام يدور محورها أبداً على أسمى المعانى ، وأرفع الآداب ، وأقدس التكاليف ، ولا تدور أبداً على سفاسف الأمور وتوافهها .

فالصلاة عبادة وخلق مشروطة بالكف عن الفحشاء والمنكر « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

والصوم عبادة وخلق . مشروطة بأن لا يسب الناس ولا يقاتلهم ولا يقول الزور أو يعمل به . إلخ . إلخ « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ـ « إذا كان صوم يوم أحدكم . فلا يرفث ولا يفسق ، وإذا قاتله أحد أو سابه فليقل إنى صائم » ـ « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فلا حاجة لله فى صيامه وقيامه » .

والزكاة عبادة وبذل وتطهير

وتزكية ، مشروطة بتدعيم المجتمع ، وتشييده على أساس من العدالة الاجتماعية ، وكفالة الفقراء والعجزة وتبادل الإخاء والحب ، ورعاية حقوق الكادحين من المحدودين « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » - « والذين فى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

والحج عبادة ، وتعارف وإخاء وترابط بين أبناء الإنسانية فوق سطح الكرة الأرضية ، وتباعد عن الفحش من القول ، والخروج عن قوانين أخلاق الإسلام الكريمة « الحج أشهر معدودات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

ولكل عبادة إسلامية خصائص ، وخصائص الصوم تنظيم عملى للطبيعة الإنسانية ، وتقويم فعال لعودها ، وإنماء للملكات الخير فى النفوس ، ولما كان العالم فى هذه الأيام ، يدور فى فلكه ، نرى لزاماً علينا أن نرهن موضوع مقالنا بمحيطه عسى نستطيع أن نأخذ بيد الصائم إلى ما يجب عليه اتباعه أثناء صومه .

فعندما ينسلخ من عمر الزمن أحد عشر شهراً ، يختم العام بشهر اختيرت له تسمية مناسبة ، هى (رمضان) ، والرمضاء شدة الحر ، رمزاً إلى ما يعانيه الصائم من لذعة العطش ، وألم الجوع . وفى هذا الشهر يشرع الإنسان يعالج رواسب المادة الجسمانية المتخلفة من شهور الإفطار الأحد عشرة . وشهر كامل يلتزم فيه المرء حالة متشابهة ، ووتيرة واحدة ، لا بد أن يكون له أثر فعال فى تحقيق الغرض النبيل الذى فرض الصوم من أجله .

والناس بالنسبة للصوم ينقسمون إلى فريقين :

فريق يصوم بالتعود ، وفريق يصوم بالتدين .

أما صوم التعود فغج ، لا جدوى فيه ، ولا ثمر له ، والآثار المترتبة عليه تافهة للغاية لا تعدو سغب المعى ، وحرقة الأوام ، ومثل هذا لا يحجم

عن آبدة ، ولا يسعى إلى غاية ، والأحاديث الشريفة تصور هذا اللون من الصوم الصورى ، وترسم خطوطه رسماً واضحاً ، سداً لذرائعة ، كى لا يقطع الإنسان عمره فى مشقة لا تتناسب ومهمة الصوم الخطيرة .

وصائم التعود . لا يعف عن نميمة ، ولا يترفع عن بذىء ، وتفلت سلطته على أعصابه ، ويقضى وقته شرساً سباباً ، يخشى الناس نزقه وبطشه . والأغرب قوله : « إنى صائم » .

وما أن يحين وقت الإفطار حتى يهوى على الطعام والشراب يزدرد ويعب ويكرع حتى يمتلىء امتلاء يعوق عن الحركة ، فيلقى بجرانه إلى الأرض بمعوء متخماً .

فهل مثل هذا يدرك أغراض الصوم ، ويستخلص منه فائدة تعود عليه وعلى المجتمع الإنسانى بالخير والإصلاح ؟

أليس هو مجرد شخص ينساق وراء عادته ، ولا يعرف شيئاً أكثر من أنه جائع ، ظمىء . وماذا يكون معنى الحرمان الذى لا طائل تحته إذا لم يكن هذا ؟

وهل يتصور عاقل أن الإسلام الحنيف يتعبد الإنسانية بمثل هذا العبث ؟ .

لا خلاف فى أن الإسلام الذى يركز تشاريعه على الصالح الفردى والجماعى ، ولا يكلف بغير المستطاع يأبى أن يجهد الفرد نفسه فى غير ذى موضوع .

الإسلام الذى مهد بدعوته سبل الأمجاد الإنسانية ، وأناط بتعاليمه مجال الخير والفضيلة ، وحض الناس على أن يكونوا أملك لنفوسهم ، وأقوى من الشيطان . وأن لا يكون الشيطان أقوى منهم بحال من الأحوال « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » . كيف يقيم وزنا لصيام التوتر والصياح والمشاكسة ؟

* * *

أما صيام التدين فهو الذى يتقيد فيه الصائم بالحدود المرسومة له ،

ويراعى بكل دقة الاتجاه الخاص بالصوم ، ولا يفرط فى الوقاية عما يفسده .

فهو يتخذ الصيام قربة إلى الله ، وتقية تدرأ أهوال الدنيا والآخرة .

هو يصوم بقلبه ولسانه وبطنه وعينه وفرجه ويده ورجله ، يصوم صوماً صحيحاً لا يشـــوبه خطل ولا خبث ، صياماً تقياً خالصاً لله رب العالمين .

إن قاتله أحد أو سابه ـ ترفع عن مجاراته ـ وأنذره « بأنه صائم » وهذا الإنذار وحده يكفى لزجر أحمق الأشرار ، وأصلتهم لسانا ، وأبطشهم يداً ، فإن كف عن غيه ، وإلا فهو لا شك واقع بين رحى عقاب الله الشديد .

وصائم التدين ، سخى اليد ، عف اللسان ، لين الجانب ، حلو المعاشرة ، رقيق الحاشية ، يراقب الله فى سره وعلنه ، ويتحرز عن أية حركة تحمل طابع الانحراف عن جادة الاستقامة . وهذا هو الصوم الذى يعنيه الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى ، وأنا أجزى به » . الصوم الذى هو عديل فدية قتل الخطأ ، وعديل العتق . « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين » .

وصائم التدين يتخذ من الامتناع عن شهوة البطن وسيلة لتهذيب النفس وامتلاكها ، وتطبيق قوانين الدين عليها ، والإنسان بداهة إذا استطاع أن يتحكم فى شهوته الغذائية ، سهل عليه التحكم فى شهوته التناسلية . وقد ربط الخلاق الأعلى جلت حكمته شهوة الفرج ، بشهوة البطن ، ولكلاهما سلطة على الإنسان قاهرة ، ومتى تغلب على سطوة الأولى ، انكسرت ثورة الثانية تبعاً لها « فمن لم يستطع الباءة فعليه بالصوم » . وما عدا هاتين القوتين ، ففروع لها ولواحق .

وهكذا نرى الإسلام يقرن تشاريعه بما يهذب النفوس ، ويصلح المجتمع ، ويغسل الإنسانية ويطهرها من نوازع الشر والفساد والقطيعة

والانحلال ، ويميط الشرور والآثام عن طريق الناس ، ليقطعوا مرحلة حياتهم الدنيا فى أمن ودعة واستقرار وسلام ، ويصلوا يوم يصلوا إلى آخرة « لا يسمعون فيهـا لغواً ولا تأثيا إلا قيلا سلاماً سلاما » .
والله تعالى هو وحده المسئول أن يلهمنا التوفيق فى عبادته ، وأن يرزقنا فهم دينه ، وإدراك مراميه ، لنتعبد به له كما يريد ، إنه بعباده رءوف رحيم .

عبد الحميد حجازى
كاتب مقرأة السيدة زينب
بوزارة الأوقاف

قصة الرجل الذى جاء يسأل عن الإسلام

ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن أنس بن مالك قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ والنبى صلى الله عليه وآله وسلم متكىء بين ظهرانيهم ، فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكىء ، فقال له الرجل : ابن عبد المطلب ـ أى يا عبد المطلب ـ فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم « قد أجبتك » فقال الرجل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : إنى سائلك فمشدد عليك فى المسئلة فلا تجد على فى نفسك فقال : « سل عما بدا لك » فقال : أسألك بربك ورب من قبلك الله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال « اللهم نعم » قال : أنشدك بالله الله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة؟ قال «اللهم نعم» قال : أنشدك بالله الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال اللهم نعم أنشدك بالله الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم نعم » فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر .

نبذة فى بعض أحكام القرآن

لفضيلة الشيخ سيد غريب شيخ مقرأة السيدة زينب

قال المؤلف رحمه الله تعالى : اعلم أن مثل العالمين والرحيم ونستعين فى الوصل يقال له مد طبيعى لأن الطبع السليم لايقبل زيادته عن الحركتين ويمد حركتين الحركة بمقدار ضم الأصبع أو فتحه بحالة متوسطة والحركتان بمقدار ضم الأصبعين أوفتحهما بحالة متوسطهوفى الوقت يقال له مد عارض للسكون لأن جواز الزيادة فيه عرض لأجل السكون وفيه ثلاثة أوجه وهى القصر والتوسط والمد فالقصر حركتان والتوسط أربع والمد ست فالحركتان بمقدار ضم الأصبعين أو فتحهما بحالة متوسطة والأربع بمقدار ضم الأربع أصابع أو فتحها بحالة متوسطه والستة بمقـــدار ضم الست الأصابع أو فتحها بحالة متوسطة وأما نحو موسى وعيسى فيقال له مد طبيعى وصلا ووقفا لأنه ليس بعده همز ولا سكون وإذا اجتمع مد وهمز وكان المد والهمز فى كلمة واحدة نحو أولئك فيقال له مد متصل لأن المد والهمز فى كلمة واحـدة وفيه وجهان أربع أو خمس فالأربع بمقـدار ضم الأصابع الأربع أو فتحها بحالة متوسطة والخمس بمقدار ضم الخمس أصابع أو فتحها بحالة متوسطة ، وإذا كان المد فى كلمة والهمزة فى كلمة أخرى ففيه وجهان أيضا أربع أو خمس ثم اعلم أن مد جميع ياوها الواقعتين فى القرآن وبعدهما همز نحو يا أيها وها أنتم جرى فيه خلاف فبعضهم قال إنه مدمتصل لأن المد والهمزة فى كلمة واحدة وهذا خلاف المعتمد والمعتمد أنه منفصل لأن المد فى كلمة والهمزة فى كلمه أخرى إلا هاؤم اقرؤا

كتابيه فإنه مد متصل باتفاق واعلم أن المد اللازم أقسامه أربعة الكلمى المثقل والكلمى المخفف والحرفى المثقل والحرفى المخفف فالمثقل كونه بعد المد شده نحو والضالين فإنه مد لازم كلى مثقل لازم للزومه ست حركات وكلى لكونه فى كلمه ومثقل لانه بعد حرف المد شده ويقع فى القرآن فى كثير والكلمى المخفف هو أن يكون بعد المد سكون نحو ءالأن فإنه مد لازم كلمى مخفف لازم للزومه ست حركات وكلمى لكونه فى كلمه ومخفف لانه ليس بعد حرف المد شده ويقع فى القرآن فى موضعين وهما الآن بموضعي يونس والحرفى المثقل نحو (الم) فإنه مد لازم حرفى مثقل ومخفف يقال كيف يجتمع ثقل وخفة معا فنقول لأنهما مدان المد الاول مد لازم حرفى مثقل لازم للزومه ست حركات وحرفى لكونه فى حرف ومثقل لان بعد حرف المد شده والمد الثانى وهو مد (م) مد لازم حرفى مخفف لازم للزومه ست حركات وحرفى لكونه فى حرف ومخفف لأنه ليس بعد حرف المد شده والمد اللازم الحرفى المخفف نحو ص ق ن واعلم أن فواتح السور أربعة عشر وهى (صله سميرا من قطعك) وتنقسم قسمين حروف ثلاثية وحروف ثنائية فالحروف الثلاثية تسعة وكلها تمد مداً لازما إلا الألف فتبقى ثمانية وهى (نقص عسلكم) لكن عيص وعسق فيهما وجهان المد والتوسط والحروف الثنائية خمسة تمد طبيعيا وهى (حى ظهر) والله أعلم

سيد غريب
شيخ مقرأة السيدة زينب

تحيـــة لخير البرية

من مختارات الأستاذ الشيخ على عليوه ـ خادم السيرة النبوية

رأت إدارة مجلة كنوز الفرقان الغراء أن تختم أعداد السنة الخامسة بهذه التحية العطرة لتكون مسك الختام وستوالى هذه المجلة إن شاء الله تعالى نشر هذه القصائد من المدائح النبوية لتكون خير ما يتغنى به المادحون .

أما النسيم فقد حيـــاك عاطره ... وبارق المنحنى حيـــاك ماطره(١)

خاطر بروحك فى نيل الوصال فكم ... من نازح نال طيب الوصل خاطره(٢)

زهر الربى باسم تنـــدى كمائمه ... رق النسيم بهـــا إذ راق ناضره(٣)

ما حل روض المنى الغض الجنى دنف ... ألا تضاحك من عجب أزاهره(٤)

والنهر أبرز للبـــدر الأتم حلى ... والبدر طرز ماء النهر زاهره(٥)

والغصن تلعب أنفاس الرياح به ... والدوح قد نثرت منه أزاهره(٦)

والليـــل قد رقمت بالشهب حلته ... والبرق يبسم فى الظلماء ساهره(٧)

والنور صاغ الندى من فوقه درراً ... بعقده زين الأبصـــار ناثره(٨)

وملبس الروض قد زانته خضرته ... والليـــل بالفجر قد زالت غدائره

---

(١) حياك من التحية وأصلها الدعاء والمنحنى مكان بالمدينة المنورة

(٢) المخاطرة ركوب الخطر والنازح البعيد

(٣) الكمائم أوعية الزهر والناضر الحسن

(٤) الغض الطرى والدنف المريض بالعشق

(٥) التطريز التزين والزاهر المضىء

(٦) الدوح الشمر الكثير (٧) رقمت خطت (٨) الشهب النجوم

والصبح سل على جيش الظلام ظبي ... وحين ما سلها ولّت عساكره
للزهر سر وعرف الروض فاضحه ... والمسك إن فض لا تخفى سرائره(١)
هل زار طيبة ذاك العرف حين سرى ... فتر بها أبداً مسك يخامره(٢)
طابت بطيب معد رسول الله فهي به ... سمت وفاقت بمن فاقت مفاخره
به معه تسامى للعلا وبه ... حاز المكارم واعتزت عشائره
أسنى النبيين قدراً نوره أبدا ... يزيد حسناً على الأقمار باهره(٣)
وأفضل الخلق من عرب ومن عجم ... أربت على الرمل أضعافا مآثره(٤)
إن كان للرسل عقد وهو آخرهم ... نظماً فقد زان عقد الرسل آخره
روض من الحلم غض راق منظره ... بحر من العلم عذب فاض زاخره(٥)
إن جاد صاح بما تهوى الزمان فل ... إلى مقام حبيب أنت زائره
وصف له حال صب مغرم دنف ... رام الدنو فأقصته جرائره(٦)
واذكر هناك بعيد الدار غربه ... غرب فما غائب من أنت ذاكره
أهدى السلام بلا حد ولا أمد ... إلى محل رسول الله عامره

(١) النور الزهر (٢) الغدائر الضفائر (٣) الظبا جمع ظبه وهى حد السيف
(٤) العرف الرائحة الطيبة (٥) يخامره يخالطه (٦) الباهر الغالب
(٧) أربت زادت (٨) زخر البحر امتلأ (٩) الصب العاشق

الحكومة الاسلامية

دستورية . جمهورية . نيابية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الوهاب خلاف

نشرت بعض الصحف المصرية أن لجنة الدستور تعنى الآن بوضع النص الذى يعين شكل الحكومة فى مصر وأن أعضاءها من الإخوان المسلمين تقدموا بمشروع مادة فى هذا الشأن . وأن البحث يكاد ينتهى إلى التوفيق .

لهذا رأيت أن أبين ما قرره الإسلام فى شكل الحكومة الإسلامية وفيما يجب أن يكون عليه نظام الحكم الإسلامى ، والله يلهمنا الصواب .

كل دولة منظمة لابد لها من تحديد علاقة القوة الحاكمة فيها بالأمة المحكومة لتستبين حقوق الحاكم وواجباته ، وحقوق الأمة وواجباتها ، وليمكن التوفيق بين سلطان الحاكم وحريات المحكوم ومن اختلاف هذه العلاقات فى الدول اختلفت أشكال حكوماتها وتنوعت إلى حكومة ملكية ، وحكومة جمهورية وتنوعت الملكية إلى دستورية واستبدادية ، وتنوعت الجمهورية إلى نيابية ورياسية . وعنى القانون الأساسى لكل دولة منظمة بالنص على شكل حكومتها وتحديد علاقة الأمة بالرياسة العليا الحاكمة فيها .

والإسلام سلك فى هذا الشأن سبيلا مستقيما صالحاً لأن تهتدى به كل أمة إسلامية إلى ما يحقق مصالحها وما يلائم بيئتها ، وذلك أنه لم يقرر فى نص من نصوص قانونه الأساسى شكلا معينا يجب أن تكون عليه الحكومة الإسلامية ، وإنما الذى نصت عليه آيات القرآن وصحاح السنة هو الأسس والدعائم التى يجب أن يقوم عليها نظام الحكم ، تحقيقا لمصالح الناس والعدل بينهم

وتأمينهم على حقوقهم وحرماتهم وتوفيقا بين سلطان الحاكم وحقوق الأمة وعلى كل دولة إسلامية أن تشكل نظام الحكم فيها بالشكل الذى يلائمها مادام قائما على هذه الأسس وفى حدودها . فالإسلام لم يعن بالشكل الذى يكون عليه نظام الحكم وإنما عنى بالأسس التى يجب أن يقوم عليها هذا النظام . ودين الفطرة لا يعنى بالصور والأشكال وإنما يعنى بالأسس والأهداف .

وأول دعامة قررها الإسلام ليقدم عليها نظام الحكم فى الدولة الإسلامية هى أن يكون الحكم دستوريا لا يستبد به الرئيس الأعلى فى الأمة بل يكون الأمر شورى بين أولى الأمر وبين الأمة ، ويكون للأمة ممثلة فى أولى الحل والعقد فيها شأن فيما تدبر به شئونها والدليل على هذا :ـ

أولا : قوله تعالى فى سورة الشورى فى وصف المؤمنين «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون »

وصف المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم ، وقرن هذا الوصف بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وساق وصفهم بهذا مساق الأوصاف الثابتة والسجايا اللازمة ليدل على أن الشورى بين ولاة الأمر وممثلى الأمة هى من أسس الإسلام ومن مقتضياته كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن الاستبداد بحكم الأمة الإسلامية ليس من الإيمان ولا من شأن المؤمنين ومن المقدر أن النص بصيغة الخبر « أمرهم شورى بينهم » أدل على الإيجاب من النص بصيغة الطلب ، لأنه يدل على أن التشاور وهو شأن المؤمنين وشعار إيمانهم .

وثانيا ـ قوله تعالى فى سورة آل عمران مخاطبا رسوله « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » .

أمر الله رسوله أن يشاور أمته فى الأمر العام من شئونها، والأمر المطلق يفيد الإيجاب ، وقد ثبت أن رسول الله قد استشار المسلمين قبل أن يخرج لغزوة أحد وأنهم أشاروا عليه بأن يخرج لقتال أعدائهم وكان من رأيه أن يبقى بالمدينة مدافعا ، ولكنه نفذ ما أشاروا به وخرج ، وانتهى الأمر بهزيمة

المسلمين . فالله سبحانه قال لرسوله « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » أى لا يحملك ما كان من نتائج المشاورة على أن تتركها ، بل شاورهم فى الأمر .

وهذا يدل على أن الله سبحانه يريد أن تكون سياسة المسلمين بمشاورتهم وأن لا يستبد بها فرد ، ولا المعصوم ﷺ ، مهما كانت نتيجة المشاورة ، فإن أخطر خطر على الأمة أن يستقل بتدبير شئونها العامة فرد .

وثالثاً - قوله تعالى فى سورة آل عمران « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .
قال الأستاذ الإمام : تفرض هذه الآية أن يكون فى المسلمين أمة أى جماعة متحدون أقوياء يتولون الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو عام فى الحكام والمحكومين ، ولا معروف أعرف من العدل ، ولا منكر أنكر من الظلم ، وقرر أن الحكومة الإسلامية قائمة على الشورى ، وأن هذه الآية أول دليل على ذلك وأشار إلى الحديث « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ، ثم يلعنكم كما لعن بنى إسرائيل » .

فهذه الآيات تدل فى صراحة على أن نظام الحكم فى الإسلام دستورى لا استبدادى وعلى أن الرئيس الأعلى فى الحكومة الإسلامية ليس له أن يستبد بتدبير شئون الأمة وقد أيد هذا الأساس رسول الله بعمله وقوله .

ففى غزوة بدر لما نجا أبو سفيان بالعير عائداً إلى مكة ورأى رسول الله أن المسلمين قد يواجهون جيشاً للقتال وهم ما خرجوا للقتال ، استشار المسلمين هل يستمر أو يعود إلى المدينة ؟

ولما سار إلى بدر أخذ برأى الحباب بن المنذر فى المنزل الذي ينزل فيه هو وجنده وعدل عن رأيه .

ولما نصرهم الله ببدر استشار أصحابه فيما يصنع فى الأسرى .

وفى سن الأذان فى السنة الثانية للهجرة استشار أصحابه فيما يعلم به المسلمين بوقت الصلاة ، فأشار بعضهم بإيقاد النار ، وأشار بعضهم بغير هذا . وانتهى الأمر بسن الأذان .

وفى غزوة أحد عمل بمشورة المسلمين وعدل عن رأيه وخرج للقتال عملا برأيهم.

وروى أن على ابن أبى طالب قال له يا رسول الله « قد ينزل بنا الأمر لا نجد فيه نصا فى الكتاب ولم تمض منك فيه سنة ؟ فقال ﷺ « اجمعوا له العالمين ولا تقضوا فيه برأى فرد » .

فالرسول ﷺ فى أمر الأمة الدنيوى العام الذى لم ينزل عليه فيه وحى كان لا يستقل بالرأى ، بل كان يستشير صحابته ويعمل بعد تناول الشورى . وهذه الروح سرت منه ﷺ وإلى ولاته ، فكان أمير الجند يستشير خيار جنده فيما يعرض له .وكذلك كل من ولى عملا كان يستعين بآراء أولى الرأى ممن معه.

وكان أمر المسلمين شورى بالمعنى الحق الذى تدل عليه كلمة شورى . وقد جاء فى تفسير الأستاذ الإمام لقوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير » بعد بيان مسهب ما نصه « ومعنى الآية على هذا الوجه أنه يجب أن تكون سياسة المسلمين تابعة لهذه الأمة التى تقوم بفريضة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فهى بمكانة مجالس النواب فى الحكومة الدستورية ، وكأن الآية تبين كيف يكون أمر المسلمين شورى بينهم .

وبعض الباحثين يورد فى هذا المقام شبهات لابد من الإشارة إليها ، وبيان ما يزيلها :ــ الأولى : قالوا : إن وصف المسلمين بأن أمرهم شورى بينهم ،وأمر الرئيس الأعلى بأن يشاور الأمة فى الأمر ، توجبان على الرئيس الأعلى أن يشاور ، أى أن يتبادل مع ممثلى الأمة الرأى ، ولكن لا توجبان عليه أن يعمل برأيهم ، فالشورى غير ملزمة ولا تحقق معنى الدستورية ، وهو أن تكون الأمة ممثلة فى نوابها مصدر السلطات فيها وكلمتها هى العليا .

والجواب : عن هذه الشبهة : أن الله سبحانه أمر بالمشاورة ليهتدى الرئيس الأعلى برأى الجماعة فى تدبير شئون الأمة العامة ، فإذا أغفل الرئيس الأعلى المشاورة أو جعلها أمراً صوريا شكلياً فيتعرف آراء الأمة ولا يعمل بها ، فعلى الأمة أن ترجعه عن هذا . وعليها أن تأطره على الحق أطراً .

فالأمة التى فرض الله أن تكون فى المسلمين بقوله : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمون بالمعروف وينهون عن المنكر » هى الضمان لتنفيذ واجب المشورة وللعمل بها على وجهها ، وكل التكاليف الشرعية الضامن لامتثالها ضمير المكلف ، وتآمر المكلفين بالمعروف ، وتناهيهم عن المنكر .

الشبهة الثانية : قالوا : : لو كانت الشورى دعامة لنظام الحكم فى الإسلام لبين القرآن أو السنة نظمها وقواعدها وكيف تكون .

والجواب عن هذا : أن تفصيل النظم الشورية ، والطرق التى تكون بها مما يختلف باختلاف أحوال الأمة الإجتماعية فمن العدل أن تقرر الشورى ، وأن يترك لكل أمة أن تضع نظمها التفصيلية بما يلائم حالها ، فهى التى تقرر نظام انتخاب رجالها ، والشروط اللازم توافرها فيهم وكيف يقومون بواجبهم حتى تكون الأمه لها الرأى فيما تساس به . ولو وضع نظام تفصيلى لاتخذه المسلمون من دينهم والتزموه ، وقد يكون مراعى فى وضعه حال المسلمين الإجتماعية فى فجر الإسلام ومن الحرج مراعاته فى كل أمة فى أى زمان أو مكان .

الشبهة الثالثة : قالوا : إن الرئيس الأعلى فى الحكومة الإسلامية من إبتداء عهد الأمويين كان مستقلا بتدبير شئون الأمة ، وما وجدت الشورى ولا كان نظام الحكم دستوريا ، وكان الحكم بقوة السيف وغلبية العصبية ، لا بالشورى ولا برأى الأمة ، حتى روى بعض المؤرخين ان عبد الملك بن مروان قال : « من قال لى اتق الله ضربت عنقه » ورسخت السلطة الشخصية فى زمن العباسية ، وجرى على ذلك سائر ملوك المسلمين ، فسنن ملوك المسلمين فى حكم الأمة الإسلامية يدل على أن السلطة فى الإسلام للفرد لا للأمة ، وأن نظام الحكم فى

الإسلام استبدادی لادستوری ، وأن الشوری فی الإسلام مندوبة أومباحة ، لا فرض ولا واجب .

والجواب عن هذا : أنه يجوز لمسلم أن يهمل ما قرره القرآن من الأمر بالمشاورة ، ومن أن المؤمنين شأنهم المشاورة وأن يهمل ما سار عليه الرسول فی سياسته من مشاورة صحابته فی الأمر العام الدنيوی الذی لم ينزل عليه فيه وحی ، وأن يهمل ما تقضی به الحكمة والخطة القويمة من الإهتداء برأی الجماعة — أقول : لا يجوز لمسلم أن يهمل هذا متأثراً بأن ملوك المسلمين استأثروا بالسلطان ، وأغفلوا ما أمر الله به من المشاورة ولا يصح أن يوصم القانون لسبب أن القضاة لا يطبقونه ، ولا يصح أن يحكم علی أی نظام عادل بسبب أن يساء تنفيذه .

فالإسلام وضع لنظام الحكم أقوم الدعائم وأعدلها ، وأولها أن يكون الحكم دستوريا ، فملوك المسلمين الذين لم يقيموا حكمهم علی هذا الأساس خرجوا عن أمر الله ، والعلماء الذين مالئوهم وهونوا أمر الشوری وقالوا إن الأمر بها للندب لا للحتم لم يقوموا بواجب النصح وقول الحق ، وأولئك ليسوا حجة علی الإسلام ، ولا يعترض عملهم صريح القرآن ، ولو حكمنا علی الإسلام بما عليه عمل المسلمين الآن لشوهناه ولذهبت عدالته وحكمته ورحمته فالمسلمون ، الآن تفرقوا واختلفوا ، والإسلام وحدة واعتصام ، وتكافل وتضامن ، والمسلمون الآن ضعفوا وذلوا وطمع فيهم أعداؤهم ، والإسلام قوة وعزة ومهابة ، والمسلمون الآن جحدوا تشريعهم وسدوا باب اجتهادهم ، والإسلام حركة تشريعية مستمرة ومسايرة لتطورات الناس ومصالحهم المختلفة ، ويطول بی القول إذا وازنت بين ما قرره الاسلام وما عليه المسلمون ، وحسبی أن أقرر أن الشوری أول دعامة من دعائم النظام الحكومی فی الاسلام ، وأن أبغض شیء إلی الاسلام هو الاستبداد بسلطان الحكم والسلطة الفردية .

وسأبين إن شاء الله فی العدد الثانی سائر دعائم نظام الحكم فی الاسلام .

عبد الوهاب خلاف

منتهى الكرم

خرج الشاعر المطبوع الحطيئه عن طبيعته من الهجاء واللذع والقذع إلى الوصف والمديح ذلك أن أعرابيا شاذ الأخلاق شرس الطباع يرى فى العزلة والابتعاد عن الناس السعادة كل السعادة فاستوطن صحراء جرداء لانبات فيها ولاثمر

بينما هو فى مساء ليلة من الليالى جالس هو وابنه أمام كوخ لهم إذ رأى شبحا مقبلا نحوه فلما تبينه ضيفا ولم يكن لديه ما يطعمه فضلا عن أن له ليالى ثلاثة لم يدخل جوفه الطعام تحير فى أمره ماذا يصنع . فقال ابنه ياأبت لاتذهب بك الأفكار واستسلم للأقدار واذبحنى ويسر لهم طعاما ولاتعتذر فبينما هما فى هذه الحالة إذ بحمار وحشى مقبل عليهم يريد الماء فأطلق فيه سهمه فخر صريعا . فأخذ الشاعر يصف هذه الحالة وصفا رائعا يدل على أن الكرم طبيعة (١) فى الأعرابى

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل ... ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما
أخى جفوة فيه من الأنس وحشة ... يرى البؤس فيها من شراسته نعما
وأفرد فى شعب عجوزا إزاءها ... ثلاثة أشباح تخالهم بهما
رأى شبحا وسط الفلاة فراعه ... فلما رأى ضيفا تشمر واهتما
فقال أيا رباه ضيف ولا قرى ... بحقك لاتحرمه تا الليلة اللحما
فقال ابنه لما رآه بحيرة ... أيا أبت اذبحنى ويسر لهم طعما
ولا تعتذر بالعدم على الذى طرا ... يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
فروى قليلا ثم أحجم برهة ... وإن هو لم يذبح فتاه فقد هما
فبيناهما عنت على البعد عانة ... قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها ... على أنه منها إلى دمها أظما
فأمهلها حتى تروت عطاشها ... فاطلق فيها من كنانته سهما
فخرت نحوص ذات جحش سمينة ... قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحما
فيابشره إذ جرها نحو قومه ... ويابشرهم لما رآه كلها بدمى
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم ... وما غرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أبا لضيفهم ... والأم من بشرها أما

---

(١) وهبت له الآجام حين نشابها ... كرم البسوك وصولة الأسادا

الروح ملك المملكة الجثمانية المستقلة

بقلم فضيلة الأستاذ فهيم سالم المليجى ـ المدرس بمعهد القاهرة الدينى

ـ ٣ ـ

الغضب : بل هو مكلف من جهتى بدفع الضرر .

الرئيس : هو أشبه أن يكون جنديا للغضب ، ويطلب الشهوة حاجته من وزير الدفاع فيكلف النشاط ولا يؤخرها عنه .

الغضب إن الدوله لا سلاح لها فبأى شىء يدفع عنها الضرر .

الرئيس : فى الدولة أسلحة كفيلة بدفع الضرر عنها . بل وجلب النفع لها وهى الأيادى والأظافر أسلحة إن استعملت فى دفع الضرر أفادت. فبالأيادى البطش عندما يريده العدو بسوء ، فإنها تبطش به وتنكل به إن أنت أمرت النشاط أن يحركها ، والنطق كذلك يقيها عاديات الشتم والسب ، وإنه يزجر العدو إذا أراد أن ينال منه .

الغضب : إنا نحتاج إلى هاد للمملكة حتى يمكن أن تعرف به عدوها من صديقها .

الرئيس : فى المملكة هداة ، هى الذوق ، وبه تعرف المملكة الطعم الحلو والمر فتجتنب المر وتطعم الحلو ، والبصر تدرك به المبصرات وتعرضها على وأنا أوجهها ، والسمع تدرك به المسموعات، والشم واللمس، وأنا رئيس هذه القوى ومديرها ومسخرها . فباللمس إدراك الملموسات فآمرها باجتناب المضار والتزام النافع . وكذلك أسخر العين واليد والجوارح كلها فيما ينفع بواسطة الوزير الذى هو الشهوة .

الجميع : وافقنا على أن مكتب النشاط يكون فى إدارة وزير الدفاع الذى هو الغضب .

النشاط : وقد تولى مقاليد منصبه يرفع مذكرة إلى وزير الدفاع ليرفعها إلى رئيس الوزراء . أشكركم أن سلمتمونى منصباً فكلفتمونى مهام جسيمة . فهذا وزير الخارجية « الشهوة » لا تنقضى مطالبه ولا تقف عند حد وأنا مكلف باستحضار الكسب الذى يسد حاجة الشهوة ورجائى أن يكون تحت إمرتى قوة تسمى « القناعة » لتحد من غلواء الشهوة وطغيانها حتى أقوم بسد حاجاتها رفعت المذكرة إلى رئيس الوزراء .

رئيس الوزراء يدعو وزراءه للاجتماع ويعرض عليهم اقتراح النشاط وافقوا عليه بالإجماع .

الغضب : يجب أن يكون مكتب القناعة تحت إمرتنا مخافة أن يتفق مع الشهوة فيضر بنا .

الشهوة : بل يجب أن يكون تحت إمرتى أنا .

الرئيس : فليكن تابعا للشهوة ويكلف بالكف عن غلوائه . موافقون ؟

الأصوات : موافقون .

وأرفض المجلس على أن كلا يقوم بمهمته بأمانة وإخلاص .

النشاط : حضرة الوزير كيف آتى بحاجات الشهوة ؟ ومن أين آتى بها ؟ نعرض هذا على رئيس المجلس .

جناب الرئيس : يطلب النشاط منى تحديد الموارد التى يأتى بها .

رئيس الوزراء يدعو المجلس للاجتماع .. فتح باب المناقشة فى هذا السبيل

الشهوة : يأتى بمطالبى كيفما كان . فأنا آمره وهو يأتمر .

النشاط : لا بد من تحديد السبيل الذى أنشط فيه وآتى بالمطالب . وإلا عمت الفوضى وانتشر الإجرام .

الغضب : أؤيد النشاط فى طلبه .

الرئيس : لقد سن ملك الملوك تشريعا يكفل السعادة لجميع الممالك الأرضية والتشريع السماوى الذى أنزله الله على لسان رسوله . فالنشاط يكتسب بالطرق المشروعة ، وهى مباشرة أعمال الزراعة والصناعة والتجارة على الطريقة التى شرعها الله تعالى ، ويؤدى مطالب الشهوة بغير إفراط ولا تفريط . . وانفض المجلس الساعة الواحدة يوم ١١/١/١ بعد أن وافق على هذه القرارات .

الشهوة : أريد طعاما شهياً وثوباً أنيقاً وشراباً طيباً .

القناعه : يكفى أى ثوب وأى طعام ، ويكفى الماء شرابا فهذا هو الضرورى للبدن الذى يقوم به .

الشهوة : نريد طعاما كثيرا دسما ، وإنى أبلغ الغضب ليأمر النشاط ليستحضر أثمان هذا الطعام الدسم ، فإن المدينه تحتاج فى كل يوم إلى ما يقوّم بناءها تقويماً قويا .

الغضب : يأمر النشاط أن يجد فى الكسب .

النشاط : لا أستطيع إحضار ثلاث وجبات من طعام دسم فى كل يوم ، وثلاث أثواب من نوع أنيق وفاء لطلب الشهوة

القناعة : يكفى فى كل أسبوع مرة من طعام دسم وباقى الأيام يكفى أى طعام .

الروح : يستدعى العقل . العقل : لبيك ياسيدى .

الروح : ما الذى فى المملكة ؟ العقل : سيدى المملكة على ما يرام . كل قائم بوظيفته حق القيام بالإخلاص والأمانة . وأؤكد لجلالتكم أن المملكة فى سعادة مطردة مادام رائدها تدبيركم الحكيم . والحمد لله .

عدو يهاجم المملكة

فى جبل ناد وواد تصايحت السباع لتبطش بهذه المملكة وتهد كيانها ، فرفع وزير الدفاع مذكرة إلى السفير ليرفعها إلى الملك

يا صاحب الجلالة : إن العدو يهدد المدينة بالتخريب والتدمير فوراً ، وأنا مستعد للدفاع عنها والذود عن حياضها متى أمرتم جلالتكم بذلك .

الملك : بلغ عنى أيها السفير ذلك الأمر . إنى أمرت وزير الدفاع بدفع العدو عن البلاد وأنا أمده بكل ما يحتاجه من عون وتدبير ، ونستمد المعونة من الله على ذلك العدو القاسى الطاغية .

استدعى الغضب جنوده وعدته ونشاطه ، وأخذ بندقيـــة قوية سريعة الطلقات وترصد للسباع . وكل سبع أراد الوثوب على البدن أطلق عليه رصاصة من فوهته أرداه قتيلا حتى أفنى السباع وفر الباقى هارباً وعاد منتصراً وهو ينشد

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم النـــاس لا يظلم

عدو آخر

عاد وزير الدفاع منتصراً وإذا عدو آخر دخل المدينه تلصصا واختبأ فى زاوية منها . وهو الشيطان للهجوم ، فجلس بناحية متطرفة من المملكة ولبس ثوب الغش والخداع ، وترصد حتى قابل الشهوة فقـال : لقد كنت يا صاحب المعالى أحق بهذه المملكة من الروح، فإن الروح مهمل لها غير ناظر إلى تنظيمها لو أن هذه المملكة نظمت تنظيما كما ينبغى لكانت آية فى الجمال ، إنها ينقصها شىء كثير . لقد أصبحت عرضة للتلف ونهبة للأمراض بإهمال الروح لها وإقبالها على علومها ومعارفها ومآلها الذى تتوهمه وتعتقده ، وقد صارت المملكة ضائعة ينهكها الجوع ويضنيها المرض وتفتك بها الحوادث وملكها غافل عنهـا منهمك فى لذاته وغذائه . فتبوأ أنت كرسى رئاستها واجلب إليها من المنـافع والنظام ما تحيا به بين الممالك .

نظف ظاهرها ، وأكثر لها من أسباب البهجة والرفاهية ، وأصلح منها ما فسده ذلك الملك لغفلته ، إنه لا بقاء لك بدونها ولا حياة لك إلا بها .

من أنت أيها الناصح الأمين ؟

الشيطان : إنه غريب من هذه المملكة ، فشق عليه اضمحلالها وضياعها ، وأردت أن أنصحك ابتغاء المصلحة وحب الخير . لا أريد جزاءاً ولا شكورا فإن قبلت نصيحتي وعملت بمشورتي استتب لك الأمر وصلحت المملكة واستقام حالها . وإلا تقبل نصيحتي وتعمل بمشورتي فأنا ذاهب إلى حال سبيلي وليس لي في المملكة قليل ولا كثير ، فلا يضرني ضياعها ، ولا ينفعني بقاؤها ، غير أني يشق علي ضياع المصلحة وفوات الفرصة .

الشهوة : أنا جندي من جنود الملك وكلني بجلب المصلحة لهذا الجسم ؛ فلا أدخر وسعا في جلب المنفعة له ولا أستطيع الخروج على الملك ، فإني لو فعلت لسلط عليّ جنديا آخر وهو الغضب فانتقم مني شر انتقام وقتلني ولا يبالي ، فإنه عدو لي ، ومتى مكنه الملك مني أعمل أسلحته الضارة في بدني وألحق بي الهون

الشيطان : إذا ضممت إليك في فكرتنا هذه وزير الدفاع ألا تتألبان على وتخلعانه وتتولى أنت مكانه .

الشهوة : لا نستطيع خلعه ، وإنما لو تألب معي الغضب وهو وزير الدفاع وضم جنده إلى جندي لأمكن أن ننهض بالجسم نهضة قوية وننتشله مما هو فيه من عوامل الضعف ونبعث فيه كوامن القوه وندخل به في هذه المدينة الصاخبة حتى يعد في نظر أقرانه مدينا عظيما .

الشيطان : أفاوض وزير الدفاع على هذا الأســـاس فهل أنت مستعد لذلك الإنقلاب ؟

الشهوة : نعم .

الشيطان : كن هنا حتى أرجع إليك ، ثم يتركه ويذهب إلى الغضب وهو وزير الدفاع .

جنود الوزير بالباب : إلى أين أيها الشخص ؟

الشيطان : وهو لابس ثوب الخديعـــة وحلة الإغراء . حاجة إلى وزير الدفاع أريد أن أبثها له .

الجندى الحارس : بل ارجع ، ما حاجتك ؟

هى سر لا آمن آمن عليه إلا نفسي والوزير .

الجندى : لا أدعك تدخل على الوزير إلا بإذنه .

الغضب : ما هذا أيها الحارس ، أسمع تحاورا بينك وبين آخر فما هو ؟

الحارس : شخص يتشدد فى طلب الدخول على عزتـكم ، ولم يرض أن يطلعنى على أمره ولم يدفع إلى صحيفة به .

الغضب : دعه يدخل .

الشيطان : سلام عليك يا صاحب المعالى .

الغضب : عليك السلام . من أنت ؟ وما الذى جاء بك هنا ؟

الشيطان غريب وعابر سبيل مر بهذه المملكة الجثمانية فشق عليه اضمحلالها وضياع زهرتها فأردت أن أنصح لمعالى وزير الخارجية بإصلاح رأيته فيها يتمم بهاءها ويحسن رونقها . فوافقنى على ذلك ولـكن طلب موافقة معاليكم على ذلك . فحضرت لدى معاليكم لأؤدى الرسالة .

الغضب : وما الذى يهمك من مملـكتنا وإصلاحها ؟ وما شأنك فى هذا ؟

الشيطان : إنها لا تهمنى إلا أنى ناصح أمين يحب كل مصلحة ولو لم يكن لى فيها غرض ، فإذا قبلتما نصيحتى وعملتما بمشورتى كان ، وإلا فأنا ذاهب إلى حال سبيلى ، وقد اقتنع وزير الخارجية برأيي ورأى فيه الإصلاح .

الغضب : إذاً نجتمع نحن ووزير الخارجية « الشهوة » ونتفاوض فى ذلك الشأن .

الشيطان : لك ذلك . هيا بك .

وما شأنك أنت فلتذهب إلى حال سبيلك .

الشيطان : إنى صاحب الفكرة فحضورى معكما لا يضركما إن لم ينفعكما فقد

أوجه رأيي عند الممتنع بحجة تحمله على الامتثال ، فلا يحصل بينكما نزاع .

الشيطان والغضب : يذهبان إلى وزير الخارجية « الشهوة » .

فانبرى الشيطان يقول :ـ ياصاحب المعالى قد عرضت أوجه الإصلاح التى رأيتها على وزير الدفاع فعلم صدق نيتى فيها ، ورأى أنه مستعد للتعاون معك فى إصلاح هذا الملك الضائع المضمحل الذى غفل عن ملكه مشتغلا بلذاته النهمة ، وما علومه ومعارفه إلا أن ينال هذا الجسم حظه من الحياة الطيبة فينتج من العلوم والمعارف أضعاف ما أنتج فى هذه السنين الطوال .

الشهوة : هل أنت موافق على هذا يا صاحب المعالى ؟

الشيطان : يوسوس إلى الغضب ، قل له إنى موافق وأنا وجنـــدى تحت إشارتك

الغضب : أنا موافق وجندى وسلاحى وكل ما أقدر عليه تحت إشارتك ليتم المطلوب من إصلاح هذا الجسم الذى كلنا مسخرين لخدمته فى ظل صاحب الجلالة ملكنا « الروح »

إذاً نعمل مذكرة فنعطيها للسفير الذى هو النفس ليعرضها على الملك .

تمام الحيلة

حضرت النفس وهى السفير بين مملكة الأشباح والأرواح .

الشهوة : أيها السفير ، هل تنضم إلينا أنا ووزير الدفاع فيما أشار علينا به ذلك الغريب من زيادة الإصلاح لتلك المملكة الجثمانية المستقلة ، فنجلب إليها فوق ما تحتاجه من الخارج يزيد فى رفاهيتها وحسن بهائها ؟ .

النفس : رضيت الانضمام إليكما فيما تريدان . ألا يحسن أن نستشير رئيس الوزارة وهو العقل فإنه رئيسنا وهو الذى يسهل لنا المهمة عند الملك .

الشيطان : لا . لا . لا تعرضوا أمرنا على العقل فإن العقل يعطل مساعينا ويقف حجر عثرة فى تمام مقصودنا .

الشهوة : نعم ما أشرت به .

الغضب والنفس : موافقون .

الشهوة : هيا نحضر مذكرة ليذهب بها السفير إلى الملك .

الشيطان : أنا الذى أكتب المذكرة وأعرضها عليكم .

حضرة صاحب الجلالة ، الروح ، ملك المملكة الجثمانية أيده الله

الآن وقد ملأت المدنية الحديثة أجواء الفضاء . وعمت جميع الممالك صغيرها وكبيرها ، ورفيعها ووضيعها وأصبح العصر زاخراً بتلك المدنية ، وأصبحت ضروريات الحياة لا تتم للمملكة إلا بمجارات تلك الممالك فى أبهتها واستعدادها ونضارتها . ونحن نقتصر فى مملكة جلالتكم على الأقل من الضرورى لحياتها وتنظيمها لإعدادها بالعلوم والمعارف إلى الكمال فى المستقبل . ولكن نرى أن المملكة الجثمانية تحتاج إلى زيادة تكميل بتزود من العلوم العصرية والمدنية الحديثة حتى تضارع نظائرها من الممالك المتمدينة الخارجية . فنرجوا يا صاحب الجلالة أن تصدر مرسوما سامياً بالتفويض لنا فى جلب ما تحتاجه المملكة من الإصلاحات الحديثة حتى تأخذ فوق كفايتها من الرفاهية والكمال الذوقى فتكون فى مصاف الممالك العظمى . ولا زلنا عبيدك المخلصين لعرشك المفدى . دمت ذخراً لنا وللمملكة الجثمانية .

الشيطان : يعرض المذكرة على الشهوة والغضب والنفس .

هاهى المذكرة أعرضها عليكم لتوافقوا . وأظن أنكم موافقون .

وافقوا عليها . لقد طلبت لكم التفويض منه فى أمور المملكة كلها . وعلى هذا فلا يقبل منه تفكير ولا تدبير ، وإنما نقبل منه التصديق على مطالبكم .

الغضب : نقرأ المذكرة . كيف نمضى على شىء مجهول ؟

الشهوة : لا داعى إلى القراءة فإنا واثقون من كاتب المذكرة .

الغضب : لابد أن نقرأها . اتلها أيها الناصح الأمين .

الشيطان : يتلو المذكرة الى آخرها .

الغضب : ألاحظ أنك لم تقل كلمة مستقلة .

الشهوة والنفس والشيطان : بس خليها فى بالك . وما الاستقلال . ان تم

هذا المشروع فليس له فيها إلا التصديق على ما تريد . المملكة لنا داخلا وخارجا .

الغضب : وماذا تستفيد من هذا ؟

الشهوة والنفس والشيطان : نسخره لنا بدل تسخيرنا له ، ونحن من عالم الجسم وهو من عالم آخر . لا تعارضنا أيها الغضب وكن معنا موافقا ، فنحن أحق ببعضنا .

الغضب : موافقون .

تمضى المذكرة ويسير السفير بها إلى الملك فيعرضها عليه .

الملك : نأخذ رأى رئيس وزرائنا .

يحضر العقل فيقول الملك أيها العقل أرأيت ماعرضه علينا وزير الدفاع ووزير الخارجية ؟

العقل : ما رأيت شيئاً.

الملك : اقرأ هذه المذكرة .

العقل يقرأ المذكرة ثم يضعها ويقول : ياصاحب الجلالة . هذه المذكرة فيها خديعة وغش فإن المملكة الآن ثابتة الأركان ، عالية البنيان ، غير مهددة من غيرها فإنها سائرة على ضرورياتها مستكملة لحاجاتها ، مستعدة لمآل عظيم . فإذا عرضت على الملاء الأعلى يوم الجزاء فسيكون لنا أوفر جزاء ، وأعظم نعيم فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وفى تلك المذكرة بيع للنعيم الدائم بمتاع زائل ، وهو سيرهق كاهلنا وينشر العداوة بيننا وبين الممالك الجثمانية الأخرى ، ولا نأمن حسن العاقبة بخلاف ما نحن عليه الآن فإنه مأمون حسن عاقبته .

الملك : ألا يمكن الجمع بين متاع الدنيا ونعيم الآخرة ؟ يتبع

تنبيــــه : وقع خطأ فى ص ٢٩ س ٢٣ قوله (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) وصوابه : « إلا إذا خيف نشوزهن » .

السنة الخامسة

العددان : التاسع والعاشر

۞ ۞ ۞ ۞